الجمهوريـــــــــة الجزائريـــــــة الديمقراطيـــــــة الشعبيـــــــــة

وزارة التعليـــم العالـــــــي والبحــــــــث العلمـــــــي

جامعـــــــة الإخـــوة منتــــــوري – قسنطينة –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعيــــة

قسم علم النفس وعلوم التربية والارطوفونيــا

رقم التسجيل:....................

الرقم التسلسلي:.................

التصورات الإجتماعية للكارثة الطبيعية عند الطلبة الجامعيين الجزائريين
- دراسة ميدانية بجامعة عنابة-

مـــذكرة مكملــــــة لنيـــل شهادة الماجستير فـــي علــم النفـــس

فرع علم النفس الإكلينيكي   تخصص: علم النفس الصدمي

إعداد الطالبة:

ليلـــــى شكمبو

إشــــــــــــراف:

أ. الدكتورة جنيدي رواق عبلة

لجنة المناقشة:

أ. د. الهاشمي لوكيـــا	أستاذ التعليم العالي	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة	رئيســــــا
أ. د. جنيدي رواق عبلة	أستاذة التعليم العالي	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة	مناقشة ومقررة
أ. د. بوكرزازة حسنـــي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة	منـاقشــــا
أ. د. معاش يوســــف	أستاذة التعليم العالي	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة	منـاقشـــا

السنــة الجــامعية: 2005/2004

كلمـــــة شكــر وتقديـــر

الحمــد لله

و الشكر والامتنان الخالصين لشخص الأستاذة المشرفة:

الأستاذة الدكتورة **جنيدي رواق عبلة**

على كل ما بذلته معي من مجهود كبير لإنجاز هذا البحث

كما أتقدم بالشكر إلى أساتذة قسم علم النفس

بجامعة **قسنطينة** عامة

و إلى كل أساتذة الماجستير عيادي دفعة **2003** خاصة

وأخص بالذكر مثال التحدي الأستاذ **محمد شلبي**

ولا أنسى أن أشكر كل زملائي في الدفعة

على مساندتهم لي طيلة فترة تحضير البحث

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى كل أساتذة قسم علم النفس بجامعة **عنابة**

وأخص بالذكر الأستاذة **بلخلفي نادية** والأستاذ **أحمد فاضلي**.

وكل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز

هذا العمل.

مخطط البحث

الفصل الرابع : الصدمة النفسية

الفصل الخامس: المقاربة المنهجية والميدانية

إشكالية الدراسة:

لا تخلو البيئة التي يعيش فيها الإنسان من التهديدات والمخاطر التي تبدأ بوقوع الضرر البسيط إلى تهديد حياته، ولكنه يدرك مع الوقت أن فرص نجاته أكثر من موته فتنشأ لديه فكرة الموت المؤجل إلى أجل غير مسمى، مما يكسبه إحساسا بالأمان على حياته و كينونته أو وحدته intégrité وتوازنـــه النفسي داخل المحيط الذي يعيش فيه. إلا أن اختلالات في توازن الطبيعة تارة و عدوان وظلم الإنسان تارة أخرى يضع الفرد أو جزء كبير من المجتمع إن لم يكن المجتمع برمته في مواجهة لا مفر منهـــا مع مصائب وهزات (صدمات) في شكل أحـــداث عنيفـــة مهـــدده مـــدمرة... مجهـــدة أو ضـــاغطة stressante بقدر كبير إن لم تكن صادمة Un traumatisme .

تختلف هذه الأحداث من حيث الأثر الذي تحدثه فمنها: ذات الضرر المحدود: خســـائر ماديـــة وبشرية محدودة... مثل: حوادث الطرقات والحوادث المنزلية.والاعتداءات المنعزلة... وذات الأثـــر البالغ الذي يمس جزء كبير من المجتمع: خسائر مادية معتبرة، وتدمير شبه كلي، وعدد متزايد مـــن الضحايا وإصابات خطيرة... مثل: الحروب، اختطاف الرهائن، الحوادث الكبرى، الأحداث الإرهابية والكوارث بكل أنواعها. وتعرف هذه الأخيرة أي الكوارث حسب 4 خصائص:

1. وقوع حدث مدمر(مفاجئ في الغالب)
2. يخلف عدد كبير من الضحايا
3. يتسبب في خسائر مادية معتبرة
4. يفوق قدرات قوات التدخل والنجدة المحلية

ويضيف إليها لوي كروك ـــLCrocqـــ خاصية خامسة (LCrocq ص392)

5ـــ.ينتج عنه اختلال واضح في النظام الاجتماعي

كما تصنف الكوارث حسب سببها علما أنه ليس التصنيف الوحيد:

1. الكوارث الطبيعية: الفيضانات، الزلازل، البراكين...

2. الكوارث التكنولوجية:الحرائــق الكبـــرى، حـــوادث المصـــانع والطـــائرات والقطارات...

3. كوارث الحروب.

4. الكوارث المجتمعية: التي تودي بأرواح الكثير من الناس دون حادث مادي مثل التجمعات والمظاهرات ومواسم الحج...

تخلف الكوارث زيادة على الدمار والموت والإصابات الجسدية، صدمات أو هزات انفعالية Chocs émotionnels تنتج عنها ردود أفعال أو استجابات تختلف في مدى تكيفها وشدتها والمـــدة التي تستغرقها. تنقسم هذه الردود إلى فردية وجماعية:

الاستجـــابـــات الفـــــــردية: تتمحور كل ردود الأفعال حول مفهوم الضـــغط أو الإجهـــاد stress وهي استجابة طبيعية وضرورية عند مجابهة أي تهديد أو خطر، في شكل رد فعل بيولوجي-فيزيولوجي-ونفسي منذر عن خطر ومحرض للتعبئة والدفاع، والتي تجعل الجسم في غاية الاســـتعداد للفعل لكنها يمكن أن مكلفة جدا على مستوى الطاقة إلى درجة الإنهاك أحيانا.

في الحالات التي يكون فيها الحدث ذو شدة كبيرة، أو الفرد الذي يتعرض له أكثـــر ضـــعفا (إرهاق، حالة وحدة، استعداد مرضي...) قد يستجيب الفرد باستجابة الضغط المتجاوز و التي يمكـــن أن توجز في أربعة عناصر:

ـــ رد فعل الصعق Sidération يتمثل في التخدير العقلي، والتبلد العاطفي، والكـــف الإرادي والحركي. حيث يبقى الشخص ساكنا وسط الخطر دون قدرة على التفكير والحركة.

ــ رد الفعل التهيجي Agitation المنبعث من الاندفاع للفعل من غير أن يكون الشخص قادر على إرصان دفاعات التكيف مع الوضعية. ويظهر على شكل حركات غير متناسقة بســبب الإثــارة الزائدة.

ــ رد فغل الهروب المفزع fuite panique هروب منفرد أو جماعي مندفع و وحشـــي، حيث يتم الاعتداء على كل من يعترض طريق الهروب. مما يزيد درجة الخطر على الفرد نفسه والآخرين.

ــ رد الفعل الآلي Gestes automatiques يقوم الفرد بسلوكات وحركات تبدو في ظاهرها تكيفية لكنها دون هدف وعموما لا يتذكرها الشخص فيما بعد.

و سواء أكان الضغط تكفيا أو متجاوزا في ظروف الطوارئ، فإنها حالة تقع بعــد الحــدث مباشرة وممكن أن تتطور إلى التلاشي والزوال رويدا رويدا وأن يرجع الفرد إلى حالته الطبيعية خلال بضع دقائق إلى بضع ساعات ،أو بعد فترة كمون ظهور أعراض مرضية تسمى زملة ما بعد صدمية Syndrome post-traumatique حسب المدرسة الفرنسية أو حالة الضــغط مــا بعــد الصــدمي Etat de stress post traumatique P.T.S.D حسب المدرسة الأنجلوساكســونية DSMIV.

الاستجـــابــات الجمـــــــاعية: عندما تحل الكارثة، تتجمع كل الأفكار والانشغالات الفردية لتصب في انشغال وحيد ناشئ عن الوضعية الجديدة الطارئة. لتنتج عنه نماذج سلوكية متماثلة:

قد تكون استجــابـــات تكيفـــية_مثل إخلاء مكان الكارثة في نظام وبسلوكيات منســقة مــن أجل المساعدة والإغاثة وقد تكون غير تكيفــية: منها الهروب الجماعي، حالة صعق جماعية، نــزوح جماعي أو على عكس ذلك حركة عودة نحو مكان الكارثة مما يعقد ويعرقل عملية الإغاثة والإخلاء...

كما قد يحدث بفعل الكارثة على المدى البعيد تغييرات في اتجاهات وتقاليد وثقافة المجتمــع المصاب، وهو ما يعرف " ذهنية ما بعد الكارثة" Mentalité post-catastrophique (LCrocq ص396).

قد تكون هذه ذهنية ايجابية مثال في اليابان يشارك السكان في تمرينات الوقاية والإغاثة وذلك في الفاتح من سبتمبر من كل عام إحياء لذكرى زلزال طوكيو ويوكوهاما في 1سبتمبر1923. ولكن قد تكون ذهنية سلبية مثل تقبل والاستسلام للكارثة كشر لابد منه ورفض اتخاذ تدابير وقائية ، أو ذهنيــة اتكالية مع معاش احتجاجي...

إن هذا التباين والاختلاف في ردود الأفعال بعد الكارثة سواء على المدى القريـــب أو البعيـــد، وعلى الصعيدين الفردي والجماعي يدعو إلى التساؤل:

ــ لماذا تختلف الاستجابات بين الأفراد والجماعات في مواجهة نفس الحدث؟

ــ لماذا يستجيب فرد أو جماعة ما (يختار ولو بطريقة لا واعية) هذه الاستجابة بالذات ؟

ــ ما لذي يجعل استجابة معينة تظهر بكثرة في مجتمع معين وشبه غائبة في مجتمع آخر؟

يذكر محمد أحمد النابلسي في دراسة مقارنة قام بها دافيسDavis سنة 1945 بين اســتجابات الجنود في الحربيين العالميتين الأولى والثانية ظهر أن الاستجابات الهستيرية الشـــائعة فـــي الحــرب العالمية الأولى قد تلاشت لتعوضها الاستجابات النفس-جسدية خلال الحرب العالمية الثانية (النابولسي ص 35-36). في نفس المرجع دراسة ثانية سوسيمي وباردينـــا ومانســو Sossimi Bardenat et Mançeau سنة 1949 أظهرت اختلاف الاستجابات الجنود خلال نفس الحرب حسب أصولهم العرقية وانتمائهم (إنجليز وهنود وجزائريين).

إن هذا التباين في ردود الأفعال ليس نتيجة فقط للعوامل المتعلقة بالحدث مــن حيــث شــدته والدمار ومشهد الموت واختلال النظام الاجتماعي الذي يخلفه... و لا العوامــل الظرفيــة كالإرهــاق والوحدة و التواجد العالي لعناصر هشة نفسيا داخل المجتمع أو مناخ سياسي واقتصادي غير آمــن أو نقص في الإعلام... بل يسببه أيضا عوامل فردية واجتماعية تخص الأفراد مثل الاســتعداد المســبق للمرض النفسي، علاقة الحدث بتاريخ الفرد...وخاصة التأويل والتصور الذي يسقطه الفرد ومحيطــه الاجتماعي على الأحداث، لذا تقول أنا فرويد Anna Freud:"إن الحدث يكون صادم مرتين الأولــى تكمــن فــي الحــدث نفســـه، والثانيــــة في التأويــل الذي يحمله الفرد ومحيطه لهــذا الحــدث" (B. Cyrulnik ص 50)

قد يكون هذا التصور خاص بالفرد كعملية عقلية نفســية كمــا يعرفــه ن.ســلامي Norbet Sillamy على أنه ليس فقط صورة نحملها عن الواقع، بل بناء لهذا الواقع ناتج عن العمل العقلــي. كما قد يكون مشتركا بين أفراد المجتمع الواحد أي تصورا اجتماعيا (لا يمكن الفصل الكامل والدقيق بين الاثنين كما أن التأثير بينهما متبادل). حيث تعرف د.جودلي D.Jodelet التصــور الاجتمــاعي كموجه ومحدد للسلوكات والاتصالات داخل المجتمع (D.Jodelet 1993 ص 36).

وحسب ابريك Abric يسمح التصــور الاجتمــاعي للفــرد كمــا للمجتمــع إضــفاء معنــى لسلوكياته(J.C Abric ص 10).

لذا فالتعرف على التصور الاجتماعي لفرد أو لمجتمع ما في مواجهة حدث أو وضعية معينــة يساعد على فهم و توقع ردود الأفعال الفردية أو الجماعية داخل هذا المجتمع، وجعل التــدخل أكثــر فعالية بحيث لا يقتصر على عمل الإكلينيكي الموجه للأفراد، بل كعمل يستهدف المجموعة في نســق تواصلها وشبكة علاقاتها داخل الظروف الصعبة والمعقدة contexte difficile. "... تنصب كــل

الجهود المبذولة والإجراءات المتخذة من أجل تحسين السياسة الوقائية في حالة المصائب و الأحــداث الصادمة ووضعيات الأزمة لتقادي وقوع الحدث أو التقليل من آثاره"(Moser et Weiss ص332).

والمجتمع الجزائري بما يحويه من خصوصية ثقافية اجتماعية ومرجعية دينية و عادات وتقاليد وسط المناخ السياسي والاقتصادي السائد (الانتقال إلى اقتصاد السوق، التعددية الحزبية والأحــداث الإرهابية) مرت به عدة كوارث طبيعية في الفترة الأخيرة:

- **زلازل** : زلــزال الأصنــام 1980، زلــزال منطقــة الجزائر العاصمة و بــومرداس وبويرة 2003.

- **فيضانات** : فيضانات عنابة 1982 و باب الواد 2001.

أحوج ما يكون لهذه السياسات الوقائية والبرامج التي تسمح بالتدخل فــي وضــعيات الأزمــة المترتبة عن الكوارث الطبيعية في ضوء معطيات علمية حول كل الجوانب المتعلقة بالكارثة: الجانــب البيئي الطبيعي، الجانب الاقتصادي...ومنها الجانب الاجتماعي والنفسي اجتماعي. وهذا مــا نصــبو للمشاركة فيه ولو بقدر بسيط من خلال هذه الدراسة للتصور الاجتماعي للكارثة الطبيعية في المجتمع الجزائري.

وقد اخترنا حصر الوسط المدروس داخل جماعة مصغرة من المجتمع الجزائــري وهــو الوسط الطلابي الجامعي وذلك حتى يتسنى لنا ضبط متغيرات البحث بصفة تقترب من الدقة، حيث أننا لم نجد دراسات سابقة للموضوع داخل المجتمع الجزائري، وأيضا لما يتميز به هذا الوسط من جديــة في التعامل مع البحوث العلمية أكثر من غيره.

وبعد دراسة استطلاعية حول التصور الاجتماعي للكارثة الطبيعية عنــد الطلبــة الجــامعيين الجزائريين:

لاحظنا انه مع وجود محتوى مشترك للتصور الاجتماعي للكارثــة الطبيعيــة بــين الطلبــة الجامعيين الجزائريين ظهور تباين واختلاف بين تصورات الطلبة مما أثار لدينا تساؤلات:

- ما هو التصور الاجتماعي للكارثة الطبيعية عند الطلبة الجزائريين؟

ـ ما هي مظاهر التباين والاختلاف بين تصورات الطلبة؟

ـ كيف يمكن تفسير هذا التباين في التصورات بين الطلبة؟

ـ ما هي العوامل التي تحدد هذا التباين في التصورات بين الطلبة؟

و لقد حددنا لدراستنا الأهداف Objectifs التالية:

الهدف الأساسي الأول:

معرفة التصور الاجتماعي للكارثة الطبيعية في الوسط الطلابي.

الهدف الأساسي الثاني:

التعرف على العوامل المؤثرة على التصور الاجتماعي للكارثة الطبيعية عند الطلبة.

الهدف الثانوي الأول:

معرفة مدى تأثر التصور الاجتماعي للطلبة بمتغير الجنس.

الهدف الثانوي الثاني:

الوصول إلى معرفة تأثير عامل السن على التصور الاجتماعي للطلبة.

الهدف الثانوي الثالث:

معرفة مدى اختلاف التصور الاجتماعي للطلبة حول الكارثة الطبيعية باختلاف التدرج الجامعي.

الهدف الثانوي الرابع:

التعرف على تأثير التخصص على التصور الاجتماعي للطلبة حول الكارثة الطبيعية .

إن كل ما يصادفـنا في محيطنا الذي نعيش فيه بما يحتويـه من أشـياء مـادية وأشـخاص وأفـكار وأحداث وعلاقات و وضعيات سواء كانت بسيطة أو معقدة ... يشـد انتباهنـا بقـوة، ويثيـر فينـا تساؤلات عديـدة حول ماهية هذه الموضوعات أو علاقتنا بها أو علاقتها فيما بينها إلى غير ذلك من التساؤلات المختلفة. ويبرز ذلك بشدة علـى وجـه الخصـوص عنـدما تكـون هـذه الموضوعات المثيرة جديدة أو أن تكون المعلومات حولها غير كافية مما يحيطها بالغموض و يجعلها مبهمـة، فيؤدي بنـا ذلك إلى محـاولة التعرف عليها و فهمـها من أجـل اتخـاذ السلوكـات المناسبة والتصرفات الملائمة للإلمـام بها وتطويعها والتحكم فيها ماديا وذهـنيا. و لذلك يـتم هـذا التفاعل من خلال عمـلية ذهنيـة (عقليـة) تساعـدنا على إدراك ما يحدث من حولنا وتـأويله من خلال تاريخ كل واحـد منا ومعـارفه السـابقة ومعـاشه وعلاقتـه بالآخـرين...تعـرف هـذه العمليـة الذهنيـة بالتصور وهي تـتم حسب د. جودلي D.Jodelet إشباعا لحـاجة نفسـية هـي "التعرف من أجل التحكم" "savoir pour contrôler" (D.Jodelet 1993 ص31) واستجابة لرغبة إدراك العالم المحيط بنا من أجل التموقع فيه. ولكن مع وجود هذه الحاجة النفسـية توجـد حـاجة أخرى وهي الحـاجة إلى الإحسـاس بالانتمـاء للمحيط الاجتماعي والتواصل مع الآخريـن، إذ أن الفرد لا يعيش لوحده فـي فراغ اجتمـاعي بل يتقـاسم هذا الواقـع الاجتمـاعي مـع الآخـرين الذين_من خلال تفاعله وتواصله معـهم سـواء في وضعيـات توافـق أو صـراع_ يعتمد عليـهم لفـهم هـذا الواقـع وتعريفه والتحرك فيه، وذلك من خلال جـعله واقـعا موحدا يسـهل فـيه التواصل عن طـريق إنتاج تصورات مشتـركـة وموحـدة حـول هذا الواقـع مصاغـة حسـب الأبعـاد الثقافيـة والاجتماعيـة الخاصة بالجماعة الاجتماعيـة أو المجتمـع الـذي ينتمـي إليـه.

فمن خلال الاستجابة لهاتيـن الحاجتيـن النفسـيتين وتحـت الضـغط الاجتمـاعي للجماعـة الاجتماعيـة من أجل ضمـان وحـدتها وتناسقهـا واسـتمرارها يتـم إنتـاج التصـورات الاجتماعيـة.

1 ـ نشأة وتطور مفهوم التصورات الاجتماعية

إذا كان استخدام مصطلح ومفهوم التصور حديثا نوعا ما فإن المفهوم في حد ذاتـه لـيس جديدا، فلقد سبق استخدامه في الحقل المعرفي الفلسفي من طرف عدة فلاسفة منهم على سبيل المثال: Emanuel Kant (1724 - 1804)الذي قال:"إن معارفنا تتشكل من مواضيع ما هي فـي حقيقـة الأمر إلا تصورات" (Sallaberry ص 16) وكذلك فان فكرة التصور قديمة في حقل علم الاجتمـاع حسب موسكوفيتشي وهي ترجع إلى G.Simmel(1858-1917) و M.Weber (1864-1920) (S Moscovici 1993 ص 63-64).

و تعتبر مساهمة اميل دوكـايم Emile Durkheim (1858-1917) تاريخية في تطور هذا المفهوم حيث أنه أول من أشـار إلى هذا المفهوم بصفته الجماعية من خلال دراستـه للديانـات والأساطيـر والتي نشر نتائجها في مجلة "الميتافيزيقا والأخلاق" (1898) و قد ذكـر الفـرق بـين التصورات الفردية ومـا سمـاه بالتصـورات الجماعيـةcollectives آنـذاك فـي قولـه: "إن المجتمـع يشكـل واقعا قائما بذاته...لذا فإن التصورات التي تعـبر عنـه لها محتوى مختلف تماما عن التصورات الفردية، ويمكننـا التأكيـد مسبقا من أن التصورات الأولى تضيف شيئا للتصـورات الثانية" ((S Moscovici 1993 ص 65).

وبعد دوركايم استخدم لوفي L.Levy مفهوم التصورات الجماعيـة لدراسـة الفروقـات بـين المجتمعات البدائية والمجتمعات المتحضرة ((S Moscovici 1993 ص 68-69).

ولقد عرف مفهوم التصورات الاجتماعية اهتمـــامــا كبيــرا مع منتصــف القرن العشريـــن بعد تراجع وغياب، ولقد ظهر هذا التطور والاهتمام في شتى المجــالات التي لها علاقة بالعلـــوم الإنسانيـــة: الانتربولوجيـــا، التاريخ، اللسانيـــات، التحليل النفســـي، علم الاجتمـــاع، علـــم الـــنفس الاجتماعي...

وفي فرنسا وفي مجال علم النفس الاجتماعي كانت الانطلاقة الحقيقية للدراسات حـــول هـــذا المفهوم على يد سارج موسكوفيتشي Serge Moscovici سنة 1961 في بحثـــه المعمـــق حـــول التصور الاجتماعي للتحليـــل النفســـي عند المجتمـــع الباريســـي، ولقد نشـــر نتائـــج أبحاثـــه فـــي كتـــاب عنوانه "La psychanalyse son image et son public« سنة 1961 و أعيد نشره سنة 1976.

في إعادة صياغته لمفهـــوم التصـــورات الاجتماعية تنـــاوله موسكوفيتشي بطريقـــة مختلفـــة ووضعـــه في إطار مغاير نظـــريا ومنهجـــيا عمـــا فعـــله دوركايم، حيـــث ركـــز علـــى المظهـــر الدينامي للتصورات الاجتماعية، كان هدفـــه من البحث فهـــم وتحليـــل كيف تنتشـــر ظاهـــرة جديدة (التحليل النفسي كنظـــرية علميـــة جديدة) في ثقـــافة معينـــة داخـــل المجتمع، وكيف تتغيـــر خلال هذه السيرورة (بأن تقبل منها أوجه كالشعور واللاشعور وتدمج في ثقافة المجتمع وترفض منها أوجه أخرى كالليبيـــدو لأنها محملة ثقافيا بمعنى طاقة الجنسية) وكيـــف تـــغير بدورها نظـــرة الأفـــــراد عن أنـــفسهم وعن العالم الذي يعيشـــون فيـــه(كدخول مفردات جديدة في اللغة المألوفة مثل الزلات، العصاب، عقدة أوديب...). وركـــز اهتمامـــه على نشـــأة وتكـــون التصـــورات ومرورهـــا مـــن المستـــوى الفردي إلى مابيـــن الأفـــراد انتهـــاء بالمستـــوى الاجتـــماعي. حـــيث يقـــول: "انـــــه كان من الضروري تحويـــل الاهتمام إلى التواصـــل الذي يسمـــح للمشـــاعر والأفـــراد بالالتقـــــاء

والتقـــارب، بحيث يمكن تحويل شيء مـــا فردي أو شخصي إلى شـــيء اجتماعي والعكس بالعكس. فكلما اعترفنـــا بأن التصورات الاجتماعيـــة هي مكونـــة (مولدة) و مكتسبـــة في آن واحـــد كلمـــا نزعنـــا عنـــها الصفـــة التقليديـــة كونـــها جامدة وجاهزة مسبقـــا.....بمعنـــى ضـــرورة اعتبـــار التصورات بمثابـــة ممـــر أو جســـر بين العالـــم الشخصي والعالـــم الاجتمـــاعي ودمجـــــها فـــي ديناميكيـــــة مجتمـــع متغير دومـــا.....لـــم يعـــد المطلوب هو فهـــم التقاليـــد بل فهـــم التحـــديث الذي يحصل فيـــها ولا كون الحيـــاة الاجتماعيـــة جاهـــزة بل كونـــها حياة في طـــور النشـــــوء" ((S Moscovici 1993 ص 82).

وبذلك اتسع مجال البحث حول التصورات الاجتماعية أكثر فأكثر، فقد اهتم باحثون عديدون على اختلاف مشاربهم النظرية وطرقهم وأدواتهم المنهجيـــة ومجالاتهم بهذا المفهوم الذي أوجـــد في علم الاجتماع ليتطور في العديد من الحقـــول العلميـــة الأخرى ابتدءا بعلم النفس الاجتماعي إلى التربيـــة، الصحـــة، العلوم الاجتماعيـــة والعلـــوم المعرفيـــة وغيرهـــا...

وفي الحيـــن الذي ركز فيه بعض الباحثيـــن اهتمامـــه على إنشـــاء نمـــاذج وصـــفية للتصورات الاجتماعية modèles descriptifs منهم كايس Kaes في دراسته للتصورات الاجتماعية للثقافة، وجودلي Jodelet في دراستين الأولى حول التصورات الاجتماعية لجسم الإنسان والثانيـــة حول التصورات الاجتماعية للمرض العقلي، كمـــا دراســـة شـــمبار Chambart de Lawe حـــول التصورات الاجتماعية للطفولة. ركز آخرون علـــى العلاقـــــة بـــين التصـــورات الاجتماعيـــــة و التصرفـــات والسلوكـــات الممارسة كدراسة أبريك Abric حول علاقـــة التصـــورات الاجتماعيـــة بسلوكي التنافـــس والتعاون ودراســـة سعدي لحلو حول علاقة التغذية والتصـــورات الاجتماعيـــة... ممـــا أفرز تنوعـــا في الآراء والنتائـــج و وجهات النظـــر لا تقل أهميـــة فيما بينهـــا.

وكما تعددت الظواهر موضوع البحوث فقد اختلفت أيضا مناهج البحث من البحث الميداني إلى الملاحظة بالمعايشة إلى البحوث المخبرية.

و مع نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات عرفت الأبحاث حول التصورات الاجتماعية انتشارا واسعا وتنسيق وتبادل علمي على مستوى كبير في مختلف أنحاء العالم حيث أن آخر إحصاء أو تجميع لما كتب حول كتاب التصورات الاجتماعية لجودلي (1989) بلغ 500 مرجعا سنة1999. مما أفرز عدة تظاهرات علمية و ملتقيات وأيام دراسية دولية في جامعات ومراكز أبحاث ذات صيت عالمي نذكر منها على سبيل المثال (سيكا J-M Seca 2002 ص59):

- الملتقى الدولي الرابع. عصر التصورات الاجتماعية، بمدينة مكسيكو، من 25 إلى 28 أوت 1999.
- الملتقى الدولي حول التفكير الاجتماعي: تساؤلات حية، بمونتريال، أيام 29 و30 أفريل والأول من ماي 1999.

وكذلك ظهور عدة مجلات و دوريات متخصصة مثلا سنة 1992 مجلة التصورات الاجتماعية " Papers on Social Representations" و سنة 1999 مجلة "علم النفس والمجتمع" "Psychologie et société" لسان حال المرصد الأوروبي للتصورات الاجتماعية.

2 ـ مفهوم التصورات

إن مفهوم التصور مشترك بين العديد من الحقول العلمية لذا فإن تعريفه تناوله والتطرق إليه قد تم من عدة أوجه مختلفة.

2 ـ 1 ـ تعريـف التصـور:

حسـب المعجـم العربـي الأسـاسي لاروس: تصـور، يتصـور، تصـورًا. تمثل صـورته في ذهنه.

- في علم المنطـق: إدراك المفرد أي معنى الماهية، وعكسه التصديق.
- في الفلسفـة: مجموعة الأفكـار التي يتصـورها الإنسـان حول الكون والحيـاة.
- في علـم النفس: استحضـار صـورة شـيء محسـوس في العقـل...

و حسب المنجـد في اللغة والإعلام: تصـور الشيء أي توهـم صورته وتخيله، والتصور هو صورة العقل.

يشترك المعجميـن في أن التصور يتعلق بشيء محسوس وهو يتم من خلال الأفكـار والتخيـل والذهن أي العقل.

أما باللغة الفرنسيـة: فـإن كلمـة التصـور Representation جـاء مـن الكلمـة اللاتينيـة Representare أي جعـل الشـيء حاضرا.

و يحدد معجم لاروس أن:

- في الفلسفـة هذا المصطلح يعني: " ما هـو عليه الموضـوع في الروح "
- في علـم النفـس هو:" الإدراك، أو الصورة العقلية التي يكون فيهـا المضـمون مـرتبط بموضـوع، موقف، مشهد...إلخ من العـالم الذي يعيـش فيه الفـرد".

هنا نجد تحديد أكبر للعملية العقلية التي يتم من خلالها التصور وهي الإدراك

أما معجم الروبيرLe Robert: "التصور هو أن نجعل من موضوع غائب أو مفهوم ما شيئا محسوسا عن طريق صورة، إشارة..." .

يبرز هنا حسب التعريف الأخير عنصر غياب أو غموض موضوع التصور الذي يعمق دائرة مفهوم التصورات.

من كل هذه التعريفات السابقة يمكننا تعريف التصور كالتالي: هو نشاط ذهني أو عملية عقلية يتم من خلالها استحضار موضوع أو مفهوم ما غائب عن طريق الترميز له بصور وإشارات ورموز... مرتبطة بمضمونه، كما قد يعني التصور منتوج هذه العملية ذاته.

2 ـ 2 ـ تعريــف التصور الذهني أو العقلي

التصور الذهني أو العقلي هو نشاط عقلي يرجع إلى إدراك شيء محسوس عن طريق شكل، رمز أو إشارة... وترتيبه ضمن المعارف الســابقة، لإمكانية تفسيــره وتأويــله و كذا للتمكن من التواصل معه و حوله.

ويعتبر أيضــا "معنى كلاسيــكيا تقليــديا مأخوذا من الفلسفــة وهو عمليــة تنظــيم المعــارف والأفكار وترتيبهــا وتحليلها حتى تجعــل الفــرد قــادرا على تفسير الظواهر المحيطة به" (أحمــد زكي بدوي ص69-70).

كما يدل أيضا على "إدراك فكري للواقع" (أحمد زكي بدوي ص70).

يقول نوربير سيلامي في قاموسه " ليس التصور عبارة عن مجرد استرجاع صورة بسيطة للواقع المتصور، وإنما هو بناء وتكوين من خلال النشاطات العقلية، إذن فهو بناء عقلي للواقــع"(نــوربير سيلامي ص1029).

يظهر لنا عبر تعريف قاموس نوربير سيلامي للتصور عدة أوجه تميز التصور وهي كونه أكثر من مجرد صورة أو إدراك للموضوع المتصور، وإنما هو واقع جديد يكونه الفرد حول الموضوع من خلال نشاطات العقل البنائية. و من هنا يتأكد لنا أن مفهوم التصور مكانة محورية يحتل في علم النفس المعرفي ولذا سنتطرق إلى هذا المفهوم عند بعض العلماء.

2 ــ 3 ــ التصور عند بعض العلماء:

لأن مفهوم التصورات وجد بين العديد من التخصصات في العلوم الإنسانية **لذا تناوله الكثير من العلماء والباحثين بطرق متعددة ومتنوعة.**

2ــ3 ــ1ــ التصور عند جون بياجيJ.Piaget :

يعد بياجي من أبرز علماء النفس النمائي فهو من العلماء النفس القلائل الذين بنوا نظرية لنمو الذكاء والعمليات الفكرية، لذا فإننا لا نستطيع التطرق إلى مفهوم التصور عند بياجي إلا في نظريته الشامل والتي نقدمها في إيجاز.

لقد قدم بياجي النمو المعرفي من خلال زاويتين:

- الأبنية المعرفية Structures cognitives
- الوظائف المعرفية Fonctions congnitives

و يقصد بياجي من الأولى مجموعة التراكيب العقلية التي يستخدمها الفرد أثناء معالجته للموضوعات التي تحيط به. وهي موجودة في شكل مترابط و متكامل، وتتميز هذه الأبنية المعرفية بالتغيير والتطور مع الزمن نتيجة تفاعل الإنسان مع البيئة، ويتم هذا التطور حسب بياجي عبر4 مراحل من التعامل بالمحسوس إلى التعامل بالمجردات.

1. المرحلة حس حركية.
2. مرحلة ما قبل العمليات المادية.
3. مرحلة العمليات المادية.
4. مرحلة العمليات للمجردة.

أما الوظائف العقلية فيرى بياجي أنها ثابتة لا تتغير عند الإنسان طوال حياته لكونها موروثة، وتتألف هده الوظائف من:

- **التنظيم Organisation**: ويعني بالتنظيم قدرة العضويات على توقيف وتنظيم عملياتها الفيزيولوجية والسيكولوجية لتصبح أنظمة متناسقة ومتكاملة.
- **التكييف Adaptation**: وهي قدرة العضويات على إحداث تغييرات فيزيولوجية وسيكولوجية استجابة لتغيرات البيئة. ويتم كل ذلك من خلال عمليتين أساسيتين هما: التصور Représentation و التلائم أو الموائمة Accomodation

وقد عرف بياجي التصور بأنه يعبر عن" الصورة الذهنية أو الاستحضار الرمزي للموضوعات والوقائع الغائبة بهدف التجريد(هكار ص 28) وبذلك للتمكن من الموائمة وهي معالجة وتكييف وتعديل ما لدى الفرد من أبنية معرفية على شكل استجابات تتلائم مع متطلبات العالم الخارجي وكذلك للتمكن من إضافة الخبرات الجديدة إلى مخزون الخبرات السابقة.

أما آليات التصور حسب بياجي فتتمثل في تحويل الخبرات الجديدة إلى خبرات مألوفة عن طريق تعديل المعلومات الجديدة الواردة من البيئة أو المحيط بطريقة تتناسب مع ما لدى الفرد من أبنية معرفية سابقة. وبذلك يظهر لنا من خلال نظرية بياجي أن الطفل أو المتعلم عموما لا يمكنه أن

يعي أي خبرة جديدة أو يمنح معنى بسمح له بممارسة عملية البناء المعرفي إلا بالقدر ما عنده من المخزون الذهني أي التصورات التي يتوفر عليها في مرحلة ما من مراحل نموه.

و من هنا نتعرف على مدى ما لمفهوم التصور من علاقة وثيقة مع النمو المعرفي وعمليات التعلم عموما و العملية التعليمية خاصة وهو ما سنتطرق إليه بالتفصيل في نهاية هذا الفصل.

2-3-2-التصور حسب برونير J-S-Bruner

اتفق برونر -وهو من أعمدة المدرسة المعرفية في الولايات المتحدة الأمريكية- مع بياجي من حيث أهمية التصورات في العمليات المعرفية والنمو المعرفي عموما إلا انه اختلف معه في طريقة تناوله لمفهوم التصورات.

فإذا كان بياجي قد أكد على وظيفة التصور في استحضار الوقائع و الموضوعات الغائبة، فإن برونر قد أكد على وظيفة التصور في الفعل المعرفي نفسه، وقد عبّر عن الأنماط السلوكية التي بمقتضاها يمثل الطفل (المتعلم عموما) عناصر البيئة المحيطة به بالإطار المرجعي للنمو المعرفي. وقد قسم مراحل النمو المعرفي حسب أنواع التمثيلات السائدة في تلك المرحلة والتي هي أساسا معتمدة على تصورت الطفل (المتعلم).

- **مرحلة التمثيل العملي**: وهي المرحلة التي لا تتم فيها بعض أشكال الفهم إلا عن طريق تمثيلها بالعمل، مثلا قد يعجز طفل أن يصف لك بدقة المكان الذي خبأ فيه شيئا ما ولكن يمكنه أن يأخذك إليه.
- **مرحلة التمثيل الإيقوني**: في هذه المرحلة تحل الصورة مكان التصورات العملية، فيمكن للطفل أن يرسم لك الطريق إلى المكان.

- **مرحلة التمثيل الرمزي**: وفيها تظهر القدرة على تصور وتمثيل الخبرات عن طريق الرموز والكلمات وهو هدف النمو المعرفي عند برونر.

كما أن برونر يرى أن للبيئة دورا أساسيا في التصورات لدى الأفراد، ففي حين يتواجد فـــرد في محيط يحفزه على تطوير الأنماط الثلاثة للتمثيلات يكون آخر في محيط يعيقه وقد يتسبب ذلك في تأخر أو إعاقة بلوغ المستوى الرمزي.

نلمس من هنا المكانة المحورية التي يعطيها برونر للتصورات في البنـــاء والفعـــل والنمـــو المعرفي كموجه لأنماط السلوك التمثيلي للواقع المحيط.

2ـــ3ـــ4ـــالتصورات عند فرويد:

كان مفهوم التصور سائدا في الفلسفة الألمانية قبل فرويد لكنه تناوله له كان بطريقة مختلفة، إذ تحدث فريد عن "التصورات اللاواعية" مع ما يتضمنه ضم هذين المصطلحين من مفارقة لأن استخدام التصور في النظرية الفرويدية لم يكن بالمعنى الفلسفي التقليـــدي كاســـترجاع لإدراك ســـابق حـــول موضوع ما أو كتصور ذاتي حول موضوع ما، ولكن باعتباره "كجانب من الموضوع الذي يدون في الأنظمة الذكروية" (لابلانش و بونتاليس ص 180).

وقد احتل هذا المفهوم مكانة مركزية في نظرية فرويد بسبب دوره في تقديم النماذج النظرية الأولى لتفسير حالات العصاب، إذ عمل فرويد على مقابلة هذا المفهوم أي التصور مع مفهوم العاطفة وتحديد مصير كل منهما في العمليات النفسية لتفسير الأمراض العصابية معتمدا على الفرضية القائلة بأن انفصال العاطفة عن التصور هو أساس عملية الكبت (لابلانش و بونتاليس ص 180) فيعرف كل منهما مصيرا مختلفا عبر عمليتين مستقلتين هما "كبت" التصـــور و"قمـــع" العاطفـــة، ففـــي تفســـيره

للهيستسريا مثلا يفرق فرويد بين العاطفة التي تنقلب إلى طاقة جسدية و يرمز إلى التصور المكبوت المرتبط بها إلى منطقة أو نشاط جسديين.

ولقد ميز فرويد بين مستويين من التصورات هما تصور الشيء وتصـــور الكلمـــة، ولهـــذا التمييز عند فرويد هدف ما وراء نفساني(لابلانش و بونتاليس ص 181). حيث يميز إرتباط تصور الشيء ارتباط تصور الكلمة المقابلة له نظام ما قبل الوعي-الوعي، خلافا لنظام اللاوعـــي الـــذي لا يدرك سوى تصور الشيء.

3ـ مفهوم التصورات الاجتماعية

من خلال ما تطرقنـــا إليـــه في النـــبذة التاريخيـــة حول مفهـــوم التصورات الاجتماعيـــــة، يمكننـــا أن ندرك بسهـــولة أنه من الصـــعب جدا الإلمـــام بهذا المفهوم إلماما دقيقا كونـــه مفهومـــا مركزيا في عـــدة تخصصـــات إنسانيـــة تتنـــاوله برؤى ومنهجيـــات مختلفـــة.

3ـ1ـ تعريف التصورات الاجتماعية

ظهر لمفهوم التصورات تعريفات عديدة وليس تعريفـــا واحدا متفقا عليه، ولكن لا يمنع ذلـــك من التقاء هذه التعاريـــف المختلفة في عدة نقاط تسمح بتقريب المفهوم كما يمكن أن نستخلصه مـــن خلال التعاريف التـــالية:

1. "معرفة مصاغة اجتماعيا حول ظاهرة ما ومتقاسمة بين أفراد المجتمـــع (Jodelet D 1990 ص 360)
2. كما ينظر إليها "كتَمثُّل وعرض لخواطر وأفكار وصور وآراء ومعارف موجودة ومصـــاغة اجتماعيا" (أبريك: الإدريسي ص 36).

يشترك هذين التعريفيـــن في جانبيـــن أساسييـــن من التصورات الاجتماعيـــة وهي:

- أولا: أنها معارف وما قد يندرج تحت المعارف من معلومات و خواطر وصور وآراء واتجاهات حول موضوع التصور مما يبرز الجانب المعرفي- الفردي.
- ثانيا: أن صياغتها وبنائها يكون على الصعيد الاجتماعي: أي أن العناصر المكونة للتصور تكون مشتركة ومتقاسمة بين أفراد المجتمع مما يبرز الجانب الاجتماعي، كما أن التفاعـــل بين هذه العناصر يتم حسب الأطر المرجعية الثقافية والقيم والمعايير السائدة داخل هذا المجتمع.

وبعبارة أخرى هي شكل من المعرفة المُنتَجة لدى الفرد ضمن الجماعة حول موضوع معين، أي أنها مجموعة الصور والأفكار التي تنتج عن خبرات الفرد الشخصية، بالتنسيق مع تجاربه ضمن الجماعة التي ينتمي إليها ويتفاعل معها ومن خلال مرجعيته الثقافية و الإيديولوجية.

3. من ناحية أخرى تعتبرها جودلي " شكل من أشكال المعرفة المصاغة اجتماعيا، ذات أهـــداف عملية و تساهم في بناء واقع مشترك عند جماعة اجتماعية معينة".(D Jodelet 1993 ص36).

ويضيف تعريف جودلي شيئا جديدا، وهو كون التصورات الاجتماعية تسمح برؤية وصياغة واقع مشترك متقاسم بين أفراد الجماعة الواحدة مما يضمن ترابطهم فيما بينهم، وسهولة تواصلهم في هذا الواقع. و ذلك لأن هذه التصورات تعكس تاريخ الجماعة أو تجاربها وتعبر عن المشاعر الجماعية والأفكار المشتركة، وهي تعتبر عاملا هاما يساهم في تضامن المجتمع.

4. كما أنها: "معرفة المعنى الموحد" connaissance de sens commun أو التفكير الطبيعي، معرفة اجتماعيـــة مشتركة، تفسر لنا الأحداث والأفكار التي تصادفنـــــا" (D Jodelet 1990 ص 360).

وفي هذا التعريف الأخير يبدو لنا خاصية أو وظيفة جديدة للتصورات الاجتماعية وهي أنها تشكل لنا نظاما تفسيريا مشتركا على مدى واسع داخل المجتمع، نعتمد عليه في فهم وتفسير ما يدور حولنا من أحداث في محيطنا الاجتماعي. فيبرز هنا دور التصورات الاجتماعية في تفسير الأحداث والأفكار مشكّلة بذلك خلفية مرجعية تسمح بترجمة كل ما يحدث.

5. ومن ثمة فهي تكوّن... شكل من التفكير الاجتماعي (D Jodelet 1990 ص 361).

6. أو "رؤية وظيفية من عالم تمنح للفرد والجماعة أن يعطي معنى لسلوكه وفهم للواقع من خلال نظامه المرجعي الخاص، وبالتالي يتكيف معه ويحدد مكانه فيه" (J.C Abric ص 11) .

مما يساعد على توحيد المرجعية التفسيرية للمجتمع عن طريق إضفاء معاني مشتركة إلى حد كبير على المواضيع التي تصادفنا سواء كانت أفكارا أو أشياء أو أشخاصا خاصة الجديدة منها.

7. و هي حسب جودلي أيضا "نماذج أو طرق تفكير عملية موجهة لفهم والتحكم و التواصل داخل المحيط الاجتماعي، المادي والفكري" (D Jodelet 1990 ص361).

إذا كانت التعاريف السابقة قد أمدتنا بخاصية التفسيرية للتصورات الاجتماعية إلا أن جودلي في هذا التعريف تذهب إلى أبعد من ذلك من خلال خاصية جديدة أو بعد جديد وهو بعد التحكم في المحيط والتواصل خلاله.

8. أما سارج موسكوفيتشي فيعرفها كما يلي: "عبارة عن أنظمة اجتماعية- معرفية والتي لها منطق ولغة خاصة بها، وهي خلفية نظرية موجهة لفهم الواقع وترتيبه والتواصل خلاله في الحياة اليومية، كما أنها تقوم بدور المرشد والموجه للفعل." (موسكوفيتشي:C Garnier et all ص 3).

مضيفا جانبا جديدا وهو توجيه السلوك والتصرفات وتحديد المقبول منها والمرفوض حسب المعايير والإيديولوجية والثقافة السائدة داخل الجماعة الاجتماعية المنتجة لها. فهي معرفة منظمة مُنتَجة لدى

الفرد بالتفاعل مع الجماعة حول موضوع معين والتي تتولد عنها تصرفات وخطابات.وبالتالي لم تعد التصورات الاجتماعية محصورة في الجانب المعرفي بل تتعداه إلى الجانب السلوكي الاجتماعي ولذا عرفها موسكوفيتشي ب "الأنظمة الاجتماعية-المعرفية".

9. من كل ما عرفناه حول المفهوم قد نحصر التصورات الاجتماعية في كونها منتوجا Produit عقليا يتم صياغته عند الأفراد بالاعتماد على المرجعية الثقافية والقيم والمعايير السائدة داخل الجماعة التي ينتمون إليها، إلا أن التصورات الاجتماعية تعني أيضا السيرورة Processus التي تتم من خلالها عملية الإنتاج حيث أن تعريف مفهوم التصور نفسه كعملية عقلية أو ذهنية يتم من خلالها استرجاع موضوع غائب. ولذلك يعرفها ج.ك أبريك على أنها: "المنتوج والسيرورة في آن واحد للعملية العقلية التي يعيد من خلالها الفرد أو الجماعة بناء الواقع الذي يواجهه، وينسب له دلالات ومعاني معينة" (أبريك: J.M Seca ص40).

10. يتقارب مفهوم التصورات الاجتماعية مع عدة مفاهيم أخرى في علم النفس الاجتماعي قد تتشابه معه في بعض أوجه التعريف به ولكنها لا تتطابق معه تماما مثل: مفهوم الآراء و مفهوم الاتجاهات ومفهوم المواقف...ولكن كل هذه المفاهيم المرتبطة بموضوع التصور تكون محتواة داخل التصورات الاجتماعية لهذا الموضوع. لذا نجد ج.ك أبريك في تعريف آخر له يقول هي: "وحدة تضم كل المعارف والآراء و الصور والمواقف والاتجاهات كمحتوى واحد له علاقة بموضوع ما". (J-C. Abric ص 32)

من خلال التعاريف السابقة يمكننا استخلاص ما يلي:

- تعرف التصورات من خلال3 جوانب أساسية:

1. أنظمة اجتماعية- معرفية منتجة اجتماعيا ومشتركة بين أفراد الجماعة.

2. لها هدف عملي وهو فهم و تنظيم المحيط والتحكم فيه والتواصل خلاله و كذلك توجيه السلوكات.

3. تسمح برؤية واقع مشترك لجماعة اجتماعية معينة من خلال إعادة بناءه.

تتميز التصورات بـــ:

- بأنها سيرورة ومنتوج في الوقت ذاته.
- أنها ليست مجرد صور لأنها تبعث بنا إلى شيء مستقر، وليست مجرد إدراك لأنه إعادة بناء للواقع.
- أنها تعتبر عاملا مهما في تضامن المجتمع لأنها تزود الجماعة بوحـــدتها وصـــفتها الفريـــدة كتمثلات مشتركة تعبر عن الأفكار والمشاعر الجماعية.كما تميزها عـــن غيرهـــا مـــن الجماعـــات الأخرى.
- تحدد التواصل عبر الواقع المعاد صياغته بين أفراد الجماعة الواحدة وكذلك بـــين الجماعـــة وغيرها من الجماعات القريبة منها والبعيدة.
- إن ما يحدد التصورات هو القيم والمعايير و أنماط التفكير للجماعة الاجتماعية التي تنتجها.

إلى جانب كونها مفهوما مركزيا في مختلف التخصصات الإنسانية، تكمن أهميتها في الحياة الاجتماعية من حيث كونها تجربة حول السيرورات والتفاعلات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات.

3ـــ2 ـــ خصائص التصورات الاجتماعية

إن غنى مفهـــوم التصـــورات الاجتماعيـــة وتعقد مظـــاهره وتعدد تعريفاته واختلاف طرق ومناهـــج البحث فيـــه تجعل أمر الإحـــاطة به صعبا. و لكن وجود معـــــاني هـــــامة وكلمـــــات

معينـــة مشتركـــة في جل التعريفـــات تقريبـــا للمفهـــوم مثل: الفـــرد، الموضــــوع، الصـــــورة، الإشـــارة، الرمـــز، الإدراك، المعنـــى، العمليـــة أو النشـــاط، إعـــادة بـــناء الواقـــــع، توجيـــــه السلـــوك، التواصل... يسمـــح بالإلمـــام ببعض الخصـــائص الأساسية لهذا المفهوم.

وحسب جودلي يوجد 5 خصائص للتصورات الاجتماعية (Jodelet D 1990 ص 365).

أ- لا يوجد تصور بدون موضوع: لأن من أول شروط وجود التصـــور المعلومـــات حـــول الموضوع ولا يمكـــن وجود معلومات بدون وجود موضوع. ويمكن أن يكـــون هذا الموضــــوع عبارة عن شخص، شـــيء، حدث، نظـــرية إلخ... كما يمكـــن أن يكـــون ذو طبيعـــة ماديـــــة أو معنـــوية، وهو في علاقة تفـــاعل مع الفرد، وهذه العلاقـــة من أهـــم الظواهر محل الدراســـة في التصورات الاجتماعية.

ب-خاصية الصورية: من خلال الصور التي تحتويها تساعدنا التصورات الاجتماعية على فهم العالم المجرد، وتحويل الأشياء المحسوسة والخواطر والأفكار والمفاهيم إلى أشياء قابلة للتبـــادل عن طريق الصور. ولكن لا يمكن اختصار هذا الجانب من التصورات في مجرد إعادة الواقـــع على شكل صور ولكن عن طريق استخدام الخيال الفردي والاجتماعي في إعادة بنائه.

ج -خاصية الرمزية والدلالـــة: يستعمل الفرد أثناء بناءه للتصورات مجموعة من الإشـــارات والصور والرموز... التي ينسبها لموضوع التصور يهدف الفرد مـــن خـــلال ذلـــك أن يفســـر الموضوع المتصور ويرمز له ويدل عليه، وبالتالي يعطيه معنى معينا يمكنه مـــن الـــتحكم فيـــه والتفاعل معه، و يسهل عملية الاتصال حوله أو من خلاله إذ بشترك كل أفراد المجموعة في نسبة هذا المعنى لذلك الموضوع.

د -خاصية البنائية: كما نعلم أن التصورات ليست مجرد استرجاع لصور حول الواقع بل هـــي عملية إعادة صياغة لهذا الواقع وبناءه من خلال عمليات عقلية بالرجوع إلى تاريخ الفرد ومعاشـــه ومرجعيته القيمية والثقافية والاجتماعية. وكما يقول موسكوفيتشي "إن الفرد يعمل على إعادة نمذجة عقليةremodelage mentale للموضوع وأن كل واقع هو واقع متصور عـــن طريـــق امـــتلاك الأفراد والجماعات له وإعادة صياغتهم له عقليا و إدماجهم له في نظام القيم المـــرتبط بتـــاريخهم ومحيطهم الاجتماعي والإيـــديولوجي"(موسكوفيتشـــي: P Boggi-Cavallo et A .Lannaccone ص5).

هــ -خاصية الإبداع: إن عمليـــة بنـــاء التصـــورات لا تقتصـــر على إعـــادة إنتاج الواقـــع بل هي عملية إعـــادة تنظيم لعناصـــر هذا الواقـــع بطريقة مغـــايرة، كأنـــها عملية بناء لواقــــع جديد -متصور- أكثر ملائمة لمحيط الفرد والجماعة حسب مرجعيتهم و القيم والمعـــايير الســـائدة بهدف توجيـــه سلوكـــات وتصرفات الفرد والجمـــاعة وتسهيـــل التواصـــل فيمـــا بينـــهم.

3ـــ3 ـــ دور التصـــورات الاجتماعيـــة:

سواء كنـــا أفرادا أو جماعـــات فإننا ننتـــج تصـــورات اجتماعيـــة باســـتمرار، ولكـــن لمـــاذا ننتجها؟ ومـــاذا تمنحنـــا هذه التصـــورات؟

1. **على المستـــوى المعرفي – العقلي:**

تمكننا التصورات الاجتماعية من إدماج المعلومـــات الجديـــدة في إطـــار التفكيـــر الموجـــود لدينـــا ســـابقا، مما جعل من التصورات مفهوما مركزيا في علم النفس المعرفـــي وإن كـــان هنـــاك اختلاف حول طريقة تفاعل التصورات مع المعارف الجديدة إلا أنه متفق على أنها تمثل أطر مرجعية أساسية لا يمكن إدماج المعلومات الجديدة إلا من خلالها. وهذا ما أثبتـــه موسكوفيتشي في دراستـــــه

المذكورة سابقا (1961)، واظهر كيف سمح التصـــور الاجتماعي للتحليـــل النفســـي من إدماج هذه النظريـــة العلميـــة الجديدة في ثقافـــة وتفكيـــر المجتمع الباريسي.

2. على المستوى بناء وتفسير الواقع:

تعرّف التصـــورات الاجتماعيـــة كشكل من أشكـــال المعرفـــة المكونـــة اجتماعيـــا حـــول الواقـــع بالاعتمـــاد على نظـــام القيـــم والمعايير السائدة في ذلك الواقع. وتهدف إلى مســـاعدتنـــــا على تفسيـــر مـــا يحدث والتحكـــم في المحيط.إذ أن إدراج الموضوع الجديد داخل الإطار التفكيري المسبق يمر ببعض التحويرات أو التعديلات على العناصر المكونة للموضوع لتقـــارب التصـــنيفات الموجودة سابقا Catégories مما يسهل فهم الموضوع. بصيغة أخرى يمكـــن تعريفـــــها كطـــرق لتفسيـــر وإعادة بنـــاء وتنظيم للواقع بطريقة ملائمة لمرجعيتنا الثقافية والأيديولوجية.

3. على مستوى توجيه السلوكات والتصرفات:

ينجم عن التصورات الاجتماعية مجموعة من الآراء والمواقف والاتجاهات حول الموضـــوع عبر ما تحمله من دلالات ومعاني والتي تســـاعدنا على التموقع بالنسبة لموضـــوع التصـــور علـــى بالتوجه الملائم في محيطنا، وتبني السلوكات والتصرفات المناسبة.

يوضح ج.ك أبريـــك هذا الجـــانب بحيث يعتبـــر "أن التصـــورات الاجتماعـــيـــة تعرف لنا مـــا هو مسمـــوح به وما هو ممنـــوع داخـــل محيط اجتماعي مـــا" (أبريك 1997،ص12)

4. على مستوى الانتماء الاجتماعي:

إن توافق تصوراتنا الاجتماعية وتلائمها مع النظام القيمي للمجتمع الذي نعيش فيه يؤدي إلـــى تأكيد انتمائنا لهذا المجتمع وهي تُنتَج جزئيا استجابة لحاجة الإحساس بالانتماء .حيث تتحدث جـــودلي

عن الانتماء آو الانضمام الاجتماعي " L'affiliation sociale " بحيث اعتبرت أن الاشـــتراك فـــي الأفكـــار واللغـــة هـــو تـــدعيم للـــروابط الاجتماعيـــة وتأكيـــد للهويـــة و الانتمـــاء الاجتمـــاعي. (جودلي 1991 ص51)

5.على مستوى الممارسات الاجتماعية:

بما أنها تمثل إطارا مرجعيا مشتركا فإن التصورات الاجتماعية تسمح لنا بتبرير تصرفاتنا ومواقفنا كأفراد داخل الجماعة الواحدة وخاصة إذا تعلق الأمر بالجماعات الاجتماعية فيما بينها.وهذا ما أكده أيريك بأن إعتبر "للتصورات دور جديد ألا وهو دور التدعيم والمحافظة على الموقف الاجتماعي للجماعة الاجتماعية المعنية" (أبريك 1997،ص18)

فالفرد داخل الجماعة الاجتماعية التي تؤمن بالقدرات الخارقة للأولياء الصالحين مثلا يجد كل التبريرات لممارسته لبعض الطقوس كزيارته للأضرحة وحضوره الزرد...بينما لا يكون ذلك سهلا ومقبولا داخل جماعة غير مؤمنة بذلك أو ربما قد تحارب الظاهرة.

3-4 ـ إنتاج التصورات الاجتماعية بين الفرد والجماعة

إن التصـــورات الاجتماعيـــة باعتبارها عمليـــة إعـــادة بنـــاء ذهنيـــة عقليـــة للواقع فهـــي مرتبطـــة بالميكانيزمات العقليـــة والنفسيـــة للفرد الذي ينتجـــها، مما يجعلها صياغة خاصـــة فريدة تحمل بصمـــة وأثر صـــاحبها، مما يضفي عليـــها صفـــة الإبداع و الفردانيـــة، ولكن الأفراد بديهيا وحتميا موجودون داخل محيط اجتماعي و إطار مشترك مع الآخرين وليسوا معزولين معرفيـــا ممـــا يجعـــل تصوراتهم تصورات ذات صبغة جماعية.

ومن هنا يمكننا تعريف التصورات الاجتماعية على أنها إنتاج عقلي فردي حسب نموذج اجتماعي معين.

فحسب جودلي: "التصورات الاجتماعية هي مجموعة منظمة من الآراء والاتجاهات والمعتقدات والمعلومات المرتبطة بموضوع معين أو وضعية ما، يحددها تاريخ الفرد ومعاشه من جهة والنظام أو النسق الاجتماعي والإيديولوجي الذي ينتمي إليه من جهة ثانية ونوعية الروابط التي يقيمها الفرد داخل هذا النظام الاجتماعي من جهة ثالثة." (D Jodelet 1990 ص371-372).

مما يدل على أن التصورات هي أيضا منتج اجتماعي منطلقه التصورات الفردية المكنين للجماعة الاجتماعية، فالتصورات الاجتماعية إذن من جهة منتج فردي داخل فضاء اجتماعي، ومن جهة أخرى منتج جماعي لشركاء acteurs اجتماعيين.

كما أنه من أهم خصائص التصورات الاجتماعية أنها تسمح بتقديم ملمح تعريف لجماعة اجتماعية معينة وتميّزها عن غيرها و مقارنتها بسواها من الجماعات، وذلك كونها مشتركة أو متقاسمة اجتماعيا بين أفراد الجماعة على مدى واسع.

وخلاصة يمكننا التأكيد على أن التصورات الاجتماعية تتموضع بين المجالين النفسي والاجتماعي، وهي ناتجة عن الجدلية القائمة باستمرار بين الجهاز النفسي والنظام الاجتماعي، وهي كما وصفها موسكوفيتشي عبارة عن جسر بين العالميين الفردي والاجتماعي.

3-5-تركيبـــة التصـــورات الاجتماعيـــة :

إن التصورات الاجتماعية لا تتشكل من مجموعة من العناصر المتعلقة بالموضوع المتصور فحسب بل هي زيادة على ذلك يجب أن هذه العناصر تتفاعل و ترتبط فيما بينها بطريقة متناسقة ومتناغمة مما يسمح للتصورات بالوحدة والاستقرار. مما يسمح للتصورات بان تتشكل حول معاني مركزية مكونة بدلك نواة دلالية.

بعض هذه العناصر لها دور أساسي في تشكيل التصور و تعريفه إذ لا يمكن أن يتم الدلالة على التصور يدونها، بينما يبقى بعضها الآخر يبقى سطحيا يشير إلى خصائص أو صفات ثانوية للتصور.والتي تظهر في الممارسات اليومية.

لذا فإن التصورات الاجتماعية من حيث التركيب تحتوي على مكونين أساسيين:

-النواة المركزية -العناصر السطحية

3-5-1-النواة المركزية:

تسمى أيضا بالنواة الصلبة أو النواة المشكّلة، وهي تتكون من العناصر التي إذا تغيرت تغير التصور .

أ-**تعريفها**: تتشكل النواة المركزية من العناصر التي تعطي معنى ودلالة للتصور والتي تكون مشبعة بالنظام القيِّمي للجماعة الاجتماعية.وهي تلك العناصر المتعلقة بـــ:

- طبيعة موضوع التصور.
- علاقة الفرد أو الجماعة بموضوع التصور.
- نظام القيم والمعايير.

وتعتبر النواة المركزية الجزء الأكثر ثباتا نسبيا واستقرارا في التصور والأصعب تغييرا بسبب أنه تبرز فيه الذاكرة الجماعية للجماعة، وعليه فإن الأبحاث والدراسات حول تحديد النواة المركزية شكلت اكبر اهتمامات الباحثين والعلماء.

ب-دورها:

تُحدث النواة المركزية ديمومة واستمرار التصور الاجتماعي لأنها ثابتة ومتناغمة، كما يمكن أن نلمس من خلالها وحدة و توافق الجماعة الاجتماعية وتقاربها.

ويمكن تلخيص دورها في نقطتين أساسيتين:

- تمنح معنى وقيمة لمختلف عناصر التصور.
- تحدد الروابط بين مختلف عناصر التصور.

3-5-2-العناصر السطحية:

أ-تعريفها: رغم أن هذه العناصر تبدو أقل أهمية من النواة المركزية إلا أن لها مكانة ودورا أساسيا في التصورات، إذ أنها تمثل Interface بين النواة المركزية والوضعية الممارسة المادية الواقعية التي تصاغ وتعمل فيها التصورات.

تتأثر هذه العناصر بتاريخ الأفراد وتجاربهم الخاصة ومعاشهم، لذلك نستشف من خلال العناصر السطحية ملامح اختلاف أفراد الجماعة وجانب التغاير والتنافر داخلها.

ب-دورها:

تساعد على تبني الأفراد للتصورات الاجتماعية وجعلها أكثر خصوصية أو فردانية أو شخصا نية Personnalisation.

ويمكن من خلال هذا النظر إلى أدوارها فيما يلي :

- وجودها بين النواة المركزية والوضعية في الواقع يجعلها ترشدنا لما يجب أن نفعله (سلوك) وما ينبغي أن نقوله (موقف)
- تسمح بإدراج وإدماج عناصر جديدة في التصور، وهي بذلك تلعب دور حماية النواة المركزية من التغيير وتسمح دينامكية التصور بإدراج الجديد.

عموما فإن العناصر السطحية هي في حالة حركة وتغير وتطور وتكيّف مستمر كلما تغيرت معطيات المحيط.

3-6-صياغة وبنـــاء التصورات الاجتماعيـــة

بما أن التصورات الاجتماعية ليست مجرد إعادة موضوع أو واقع غائب عن طريق استحضاره ذهنيا، بل هي عملية إعادة بناء لهذا الواقع بالاستعانة بالخيال الفردي والاجتماعي وبالرجوع إلى نظم وقيم ومعايير المجتمع. فكيف يتم هذا البناء؟ و ما هي السيرورات التي يتبعها هذا البناء؟

3-6-1- شروط ظهور التصورات الاجتماعية

هل تنتج التصورات الاجتماعية في كل الأحوال أم لها حالات خاصة؟ حسب موسكوفيتشي لها ثلاثة شروط:

- **المعلومات:** لابد من وجود معلومات كافية حول موضوع التصور والذي يجب أن يكون واسع الانتشار وكثير التداول بين أفراد الجماعة. وكلما كانت المعلومات حول الموضوع قليلة أو غير ذات مصداقية بحيث يزداد عنصر الغموض كلما لجأ الفرد كما الجماعة لإنتاج التصورات لإتمام الصورة.

• **مجال التصور**: ونعني به اختيار أوجه أو جوانب من الموضوع وإبرازها مع إغفـال جوانب أخـرى منه وهو ما يعبر عنه بفكرة تنظيم المحتوى على شكل وحدة هرمية للعناصر المكونة للموضوع، ويختلف مجال التصور من جماعة إلى أخرى وذلك استجابـة للقيم والمعايير السائدة داخل الجماعة. (دراسة موسكوفيتشي سنة 1961 حول التصور الاجتماعي للتحليل النفسي لدى المجتمع الباريسي).

• وجود الاتجاهات سواء كان بالسلب أو بالإيجاب متعلقة بموضوع التصور، يحتم ظهور التصور الاجتماعي حول الموضوع بسبب حاجة الجماعة لهذا التصور لاستخدامه في ممارسة ضغوطها لتوحيد الاتجاهات بين أفرادها من جهة، وللدفاع عن مواقفها واتجاهاتها في مقابل الجماعات التي لا تتوافق معها في الاتجاه حول موضوع التصور من جهة أخرى.

3-6-2- مراحل بناء وصياغة التصورات

تمر التصورات الاجتماعيـة كصيرورة بعدة مراحل أثنـاء تكوّنـها لتصل إلى شكلها النهائي المتغير كمنتوج اجتماعي مكونا لواقع مشترك للأفراد مشبّعا بالمرجعيـة الثقـافية والإيديولوجية للجماعة وموجها للسلوكات والتصرفات. وحسب موسكوفيتشي توجد أربعة مراحل:

• مـرحلة مرور الموضوع إلى النموذج الصوري modèle figuratif بحيث يجمع الفرد أو يستنبط المعلومات حول الموضوع، يرتبها ويدرجها في الذاكرة وتسمى هذه المرحلة أيضا بمرحلة انتزاع الموضوع من المحيط decontextualisation.

•مرحلة المرور من النمط الصوري إلى التصنيف، يكتسب النموذج الصوري صفة التأكيد (الترسيخ) إذ يصبح هو الواقع بالنسبة للفرد، فيستعمله في تصنيف الموضوع مع الموضوعات الموجودة في إطاره المعرفي مسبقا، ويفسر من خلاله الواقع.

•مرحلة المرور من التصنيف إلى النموذج النشط actif بعد أن يصبح التصور مرجعا تفسيريا للواقع يتحول في المرحلة اللاحقة إلى موجه لسلوكياتنا ومرشد علاقتنا بالآخرين.

• **مرحلة التبلور**: يكتسب التصور في هذه المرحلة استقرارا وثباتا يمنحه نوع من الصلابة يترتب على ذلك انتظارات وتوقعات حول موضوع التصور وما يتعلق به من تفاعل معه أو حوله مع أفراد المجموعة الاجتماعية.

3-6-3-آليات بناء التصورات الاجتماعية

كما أن بناء التصورات يمر بمراحل متدرجة فهو أيضا يتم عبر عمليات معينة مثل إدماج المعلومات وترتيبها والتصنيف الموضوع... تتناغم هذه العمليات وتتناسق من خلال سيرورتين أساسيتين هما الترسيخ L’ancrage و التوضيع L’objectivation .

أ-الترسيخ L’ancrage

وهي عملية أساسية يتم من خلالها إدماج عناصر من معلومات الجديدة حول موضوع غير معروف ضمن شبكة من التصنيفات المعرفية الموجودة مسبقا. كما تشير هذه السيرورة إلى الكيفية التي يدرج بها الموضوع الجديد داخل نظام التفكير القائم و ضمن المجال الاجتماعي المتحول باستمرار، إذ أن الترسيخ كسيرورة لا يقتصر على المستوى المعرفي فحسب بل يشمل مستوى الاتجاهات و السلوكات وذلك بسبب شمول مفهوم التصورات الاجتماعية لكل هذه الأبعاد في آن واحد. من خلال سيرورة الترسيخ وصف موسكوفيتشي كيف تم إدماج صورة التحليل النفسي في

النظام المعروف من التصنيفات القائمة وأنماط الأشخاص والأحداث الموجودة (جون ريشارد وآخرون ص128). وتظهر سيروية الترسيخ من خلال ثلاثة مظاهر:

- **المعنى**: خلال سيرورة الترسيخ يضفى على الموضوع المتصور معنا ودلالة من طرف

المجموعة المعنية بالتصور، من خلال هذه المعاني تظهر للموضوع الهوية الاجتماعية و الثقافية للموضوع المتصور لأن المعاني المعطاة للموضوع تكون مصبوغة ثقافيا وقيميا ومتموقعة من تصنيفات المعاني الموجودة سابقا ضمن نظام المعانى المعروف لدى الفرد والجماعة الاجتماعية. وبالتالي فإن نسق المعاني يتشكل عبر التصورات من خلال سيرورة الترسيخ، لقد ظهر في دراسة موسكوفيتشي أن الممارسة الاجتماعية للتحليل النفسي كنظرية جديدة في المجتمع الباريسي تنسب بطرق متباينة إلى أقسام أو أصنافCategories اجتماعية لا يكون لها نفس التقدير مثلا: الأغنياء، الفنانين، التساء...وذلك حسب الروابط المفترض وجودها بين التحليل النفسي وهذه الأقسام الاجتماعية من خلال المعاني التي أضفيت على هذا المفهوم (D Jodelet 1993 ص 51).

كما أن نفس الموضوع الجديد يكتسب معاني مرتبطة بالإيديولوجية السائدة داخل المجتمع أو حتى داخل الجماعات الاجتماعية المختلفة باختلاف فلسفاتها الفكرية، كما أشار إللى ذلك موسكوفيتشي:" أن الموضوع الجديد يفسر في كل مرة وفقا لفلسفة الحركة الفكرية والإيديولوجية السائدة في تلك الفترة وفي ذلك المجتمع، فتصورات الكاثوليك والشيوعيين(متباينة..."(Moscovici 1990 ص 372)

- **استعمال التأويل**: إن العناصر المكونة للتصورات لا تقوم بالتعبير عن العلاقات

داخل المجتمع فحسب بل تعمل على إنشاءها من خلال تأويل الأفراد لهذه العناصر الجديدة لتشكل وسيطا بين الفرد ومحيطه وبين أفراد الجماعة الواحدة خاصة في حالة الصراعات التي لاتخلو منها عملية إدراج الموضوع الجديد. وتخلق لغة مشتركة بين أفراد المجتمع حول الموضوع تسمح لهم

بالتواصل وتعطي نماذج تصنف من خلالها الأحداث والسلوكات المرتبطة بالموضوع المتصور مشكلة بذلك نسقا مرجعيا مشتركا يفرض نفسه على الواقع بعد إدراج الموضوع الجديد فيه. فلقد تحول التحليل النفسي مثلا بعد إدماجه في المجتمع الباريسي إلى نظام تفسيري ولغة جديدة تحكم التواصل بين الأفراد مثلا: أن يصنف شخص على أنه معقد complexe بعد إدماج مفاهيم التحليل النفسي في المعارف السابقة(ج.م سيكا ص 62).

فيتم ترسيخ التصور عن طريق استخدام تأويل عناصره، ويمكن اعتبار الترسيخ مساو لبتحويل عناصرالتصور إلى وسائل L'instrumentalisation (ج.م سيكا ص67)

- الإدراج ضمن نظام التفكير الموجود سابقا: ويتم ذلك عن طريق استدخال أو امتلاك appropriation الموضوع الجديد وتصنيفه داخل الإطار التفكيري المرجعي السابق، مما يحتم المرور بالعمليات التالية: جعل العناصر الغريبة من التصور (الجديد) مألوفة familiarisation de l'étranger وتحويل بعض العناصرinversion كما تعديل بعضها الآخر ليصبح موافقا للمعايير normalisation، ويبدو ذلك جليا في بحث موسكوفيتشي من أن التحليل النفسي في بدايته قد قورن أو قرب من بعض الممارسات الاجتماعية أكثر تواجدا مثل الاعتراف في الديانة المسيحية السائدة في المجتمع confession chrétienne (ج.م سيكا ص66).

ويمكن أن يكون إدراج الموضوع الجديد بطريقة مختلفة تماما حيث أنه قد يحدث أن يترتب على إدماج موضوع التصور عملية هز أو مساس altération للإطار المرجعي التفكيري السابق، إذ أنه قد يكون تأثير الموضوع الجديد قوي جدا لدرجة أن عمليات تصفية عناصره قبل إدماجه لا تكون ناجحة مثل أن يكون الموضوع: كارثة أو وباء أو نكبة اقتصادية... فتتغير الذهنيات نفسها نتيجة تأثيره الشديد.

ب - التوضيع L’objectivation

يعرف التوضيع على أنه العملية التي من خلالها يتحول المجرد إلى ملموس أو مجسد، وهي التي تحول التفاعل في المعلومات العلمية إلى صور أشياء فمثلا في التصور الاجتماعي للتحليل النفسي تحولت الديناميكيات النفسية إلى عقد أو وحدات مرضية أو تشوهات نفسية malformation يمكن للخبير إزالتها تماما مثل أي تشوهات جسدية، وتحولت طاقة الليبيدو إلى مجرد عاطفة أو أحيانا إلى علاقة جنسية بين المحلل والمحلل، ويعرفه موسكوفيتشي: " التوضيع هو الإزالة تدريجيا لكم مبالغ فيه من الدلالات عن طريق تجسيدها" ((Moscovici 1990 ص 367).

"Objectiver , c’est résorber un excès de significations en les matérialisants"

من خلال التوضيع يتمكن الأفراد من امتلاك أو استدخال الظواهر والمعرف خاصة المعقدة منها كما تسمح لهم ببناء أو صياغة حد أدنى من المعرفة الموحدة Savoir commun التي تشكل قاعدة تمكنهم من إبداء آرائهم والتواصل فيما بينهم.

وتتم سيرورة التوضيع من خلال ثلاث عمليات مرحلية:

- **الانتقاء**: وهي عملية التصفية للمعلومات التي يتلفاها الفرد حول موضوع التصور مما يؤدي إلى تغييرات وقلب وحذف أو زيادات لبعض المعطيات كما إحداث تقييمات وإزالات وإضـــافة كما تنحية بعض الانتسابات لعناصر الموضوع كي توافق الإطار التفكيري الموجود ســـابقا وكـــذلك المرجعية الثقافية والأيديولوجية والقيم السائدة مثلما تغيرت بعض المعطيات حول التحليـــل النفســـي خلال هذه السيرورة بأن تقبل منها أوجه كالشعور واللاشعور وتدمج في ثقافة المجتمع وترفض منها أوجه أخرى كالليبيـــدو لأنها محملة ثقافيا بمعنى طاقة الجنسية(موسكوفيتشي)

وها الانتقاء الذي يمارسه الأفراد ينتج تبعا لإحساسهم بالإستدخال أو بالإمتلاك للموضوع appropriation والذي لا يتم إلا عبر عملية أخرى تصاحبها و هي انتزاع عناصر الموضوع من الإطار المرجعي décontextualisation وذلك يتم في حالة النظريات العلمية مثلا بتجريدها من كل ما يجعلها غير متاحة inaccessible و غير قابلة للتبادل بين أفراد المجتمع وهو ما عبر عنه روكيبلوRoqueplot بالسيرورة الملازمة لانتشار نتائج الأبحاث العلمي وأكد على ضرورة الإنتباه لذلك عند التدريس العلمي (J-C Richard et all. ص 139).

- تكوين النموذج أو المخطط الصوري: وهو تكوين أو انتاج صورة تحمل معنا متناسقا متناغما بالنسبة للفرد المنتج لها. هذه التركيبة الجديدة لموضوع التصور هي أساس تبلور التصور حيث تكسبه وحدة في المعنى منتظمة ومتناسقة تجعلها أكثر قابلية للتدوال والتفاعل، بحيث تنتج عنها تجسيدا وتبسيطا للموضوع أو الظاهرة المتصورة مما يجعل مجموعة المفاهيم المتعلقة بالموضوع ملائمة للأفراد المنتجين للتصور، كما حدث في تصور الطاقة النووية بعد كارثة تشانوفيل هذه الطاقة التي يلفها الغموض و السرية الكاملين، بحيث تصورها البعض أو صورها على شكل فطر ذريchampignion atomique وتصــورها الأطفـــــال (صورها) علـــــى شكل سحب إشعاعية(J-M Seca ص63).

- التطبيع Naturalisation: وهي العملية التي من خلالها يتم إلحاق صفات وخصائص (طبيعية) بعناصر التصور والتي لم تكن في الأصل منها، مما يسهل تداولها كأشياء داخـــل الواقـــع الاجتماعي. وتضرب لنا جودلي مثالا على ذلك حول عناصر التحليل النفسي بقول:" اللاشعور قلق " "L'inconscient est inquiet " وكيف أن الجهاز النفسي يتحول إلى مجرد جهاز متأثرا بالمقاربة

التقنية للتيار التجريبي السائد آنذاك، وكيف تحولت مفاهيم التحليل النفسي إلى نظريات مستقلة تمنحنا تصنيفا للسلوكات (J-M Seca ص64).

في هذه المرحلة يأخذ النموذج أو النواة الصورية صفة الحقيقة البديهية بأن تتحول إلى الواقع بالنسبة إلى الأفراد والمجموعة المنتجة لها، وتنسج حولها باقي عناصر التصور.فيمر التصور إلى مرحلة توجيه السلوكيات. وحسب موسكوفيتشي فإن عناصرهذه النواة هي ألأكثر تكرارا في الإجابات المتحصل عليها حول التصور حسب موسكوفيتشي (J-M Seca ص69).

وبالتالي فإن عملية التوضيع هي عبارة عن تصفية وانتقاء وترتيب للمعلومات في شكل وحدة دلالية متناسقة و التي تساهم في عملية البناء الاجتماعي للواقع، ومنها يأخذ كل فرد تصوره للواقع بما يحتويه من أشخاص و أحداث وأشياء دون أن يكون متعارضا مع الواقع الاجتماعي.

وداخل هذه العلاقة الجدلية التي تقوم بين صيرورتيىوزنتلب الترسيخ والتوضيع يتم على مراحل بناء التصورات الاجتماعية عبر حركتين أساسيتين: المرور من مستوى المعلومات إلى النموذج الصوري ثم المرور من ذلك إلى مستوى توجيه التفكير والسلوك.

3-7-التصورات و التصورات الاجتماعية في العملية التعليمية-البيداغوجية.

إن تعريف التصورات الاجتماعية كمعرفة مصاغة اجتماعيا أو كأنظمة معرفية-اجتماعية ينم على مالها من أهمية في التعلم عموما و في الأنشطة التعليمية أو الديداكتيكية على وجه الخصوص. حيث أنه تبين أن التصورات أو المعارف المسبقة أو القبلية تشكل قاعدة هامة في السيرورة التعليمية، على اعتبار أن المتعلم ليس صفحة بيضاء تملئ بالمعلومات الجاهزة من طرف المعلم، وأن كل فرد يحمل نسقا من التصورات الصريحة والضمنية التي تسمح له بمواجهة ومعالجة الوضعية / المشكل. وأنه في المقابل يحدث خلال العملية التعليمية تعديلات وتغيرات في محتوى التصورات الاجتماعية

للمواضيع المتعلمة لتتكون تصورات أخرى جديدة معتمدة على تفاعل المعلومات العلمية الجديدة مع التصورات المسبقة.

وفي ذلك يقول باشلار Bachelard: "غالبا ما اندهش من سلوك الذين يتصورون أن الفكر البشري يبدأ تعلمه كما نبدأ درسا " (إدريسي ص 33).

فالمتعلم ينطلق من تصورات معينة مسبقة-ضمنية أو صريحة- إلى تصورات جديدة أخـــرى ذات قوة تفسيرية أكبر مما يمنح التصورات خاصية مهمة وحيوية وهي خاصية الدينامية مما جعلهـــا تتحول إلى إستراتيجية من إستراتيجيات الممارسة البيداغوجية.

ويعود الاهتمام بالتصورات إلى بداية السبعينات (إدريسي ص34) لما لاحظه القائمون على ميدان التكوين المستمر من أن فئة الكبار يحملون معلومات أولية تشكل نظاما تفسيريا عاليا غالبا ما يدفعهم إلى مقاومة المعارف الجديدة أو إساءة فهم الخطاب الجديد مما يؤدي إلى تحويره. ومنذ ذلك الحين برز الاهتمام بالتصورات كنموذج ذهني وثقافي أي فردي-اجتماعي والذي هو حصيلة لتاريخ اجتماعي وثقافي بالتفاعل مع المعارف الجديدة، أو بعبارة أخرى كبراديغم Paradigme ديداكتيكي هذا البراديغم الذي يفرض نفسه في كل وضعية تعليمية. لذا توجب العمل في الدراسة والبحث حول التصورات والاتجاه إلى معرفتها عن طريق فتح المجال للإفصاح والتعبير عنها، وبالتالي فالحديث هنا عن التصورات و دورها ووظيفتها وكذا تحولها أثناء عملية التعلم عموما والممارسة البيداغوجية خاصة وكيفية تفاعل مكوناتها المعرفية مع محتوى المعارف العلمية الجديدة خلال صيرورة التعلم، يشملها بنوعيها الذهني (الشخصي) والاجتماعي إذ أنه لا يمكن فصل المكون الاجتماعي الثقافي عن باقي مكونات التصورات.

من الباحثين الذين اهتموا بدور التصورات وتوظيفها في النشاط البيداغوجي نجد: باشلار Bachelard، بارلت Barlett، أستولفي Astolfi، فينو Viennot، دوفتشي Devicchi، جيورادن Giordan، تيبرجيان Tiberghien . (فتيحة الهكار ص 28).

وقد ظهرت الاهتمامات في الدراسات الأولى بالتصورات في مجالات البيولوجيا والفيزياء والرياضيات والعلوم الاجتماعية.

وكان بارلت Barlett عام 1932 من أوائل من ركزوا على تأثير المعارف السابقة في تعلم واكتساب المعارف الجديدة، إذ بين أن المعلومات الحديثة تندمج بشكل فعال في البنيات الذهنية الموجودة قبليا عند المتعلمين (فتيحة الهكار ص 31).

وتم الانتهاء إلى أن التصورات مؤشر هام من مؤشرات العمل الديداكتيكي للمعلم الذي لن يتمكن من التدخل بشكل ايجابي وفعال إلا بانتباهه لتصورات المتعلمين ولدورها في السيرورات التعلمية-التعليمية لأن كل متلق يتلقى المعلومات بطريقته الخاصة، وحسب استجابتها لحاجيته ومدى مطابقتها لاهتماماته.

إلا أن الطابع الإشكالي الذي يميز مسألة التصورات قد أفرز اختلافا في وجهات النظر فيما يخص ماهية الدور الذي تلعبه التصورات في العملية التعليمية:

- ها تبنى المعارف العلمية بالتفاعل مع التصورات المسبقة لبناء تصورات جديدة فتصبح بذلك التصورات أداة معرفية وبيداغوجية ؟
- أم هل تبنى المعرفة العلمية بإلغاء وتعديل التصورات المسبقة لأنها تمثل عائق معرفي وبيداغوجي ؟

ونتيجة لهذا التساؤل ظهر اتجاهين:

- اتجاه يؤكد على أن التصورات أداة معرفية و بيداغوجية.
- اتجاه يرى أن التصورات عائق معرفي و بيداغوجي.

وفيما يلي توضيح لذلك:

3-7-1-التصورات كأداة معرفية

ينطلق الاتجاه الأول من الفرضية البيداغوجية التي تعتبر التعلم كحصيلة لعملية دمج بين التصورات الجديدة و التصورات الموجودة مسبقا، وليس كسيرورة تستبدل فيها التصورات القديمة بالتصورات الحديثة. إذ يلح هذا الاتجاه على ضرورة انطلاق التعلم من تصورات التلاميذ، ومنه ضرورة تغيير دور المدرس من مرسل أو ناقل للمعارف إلى منشط لمجموعة الصف التي تتألف منه ومن التلاميذ. هذا بهدف تمكن المعلم من تحديد تموقعه بالنسبة للأطر المرجعية للمتعلمين.

ويرفض أصحاب هذا الاتجاه ثنائية أو مقابلة معرفة علمية-معرفة عامة

وذلك انطلاقا من منطلقين أساسيتين:

- **المنطلق الأول**

هي اعتبار أن الفرضية القائلة بوجود فرق بين التصورات والمعرفة العلمية بمعنى فقر التصورات معرفيا، فرضية خاطئة وخصوصا في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية. أو بمعنى آخر أن التصورات الاجتماعية المسبقة هي أساس لبناء المعرفة العلمية إذ أن السؤال والخطأ اللذان تتسبب فيهما التصورات المسبقة شاهدان على حضور الذات و يمثلان أداة للكشف والبحث كما جاء في دراسات الكثير من الباحثين أهمية الخطأ في العملة الديداكتيكية. فالتصورات تمثل بالتالي عنصر من

عناصر ما أسماه زراتشوك Zaratchouk بالتشخيص الديداكتيكي (Sellaberry ص15).

- **المنطلق الثاني**:

اعتمـــاد العملية التعليمية على ما يعرف ببيداغوجيا الخطأ وذلك باعتبار التصورات المسبقة أو القبلية كوسيلة معرفية مما يقتضي من المعلم خلق وضعية الانطلاق تكون محفزة وذات دافعية حسب الأطر المرجعية للمتعلمين. ويتحقق ذلك عن طريق جعل التلاميذ يعبرون عن آرائهم -عن تصوراتهم المسبقة- بكل حرية ويشكلون بينهم علاقات يقابلون خلالها تصوراتهم حول الموضوع المتعلم بعضها ببعض. وبذلك فهم يقومون بأنفسهم:

- إما بتعديل تصوراتهم.
- إما بتقويمها ذاتيا Auto – Evaluation.
- أو بتقويمها تبادليا Co – Evaluation (إدريسي ص 36).

فتبنى بيداغوجيا الخطأ يعني باختصار عدم وجود قطعية إبستيمولوجية بين المعارف القبلية والمعارف الجديدة.

إلا أنه من الضروري ملاحظة أنه رغم خاصية الدينامية والايجابية التي تتصف بها بيداغوجية الخطأ إلا أنها يمكن أن تجعل التلميذ يتمسك بتصوراته عندما يرى التطابق بين تصوراته وتصورات زملائه في مفهوم معين ويقاوم المعارف الجديدة.

3-7-2-التصورات كعائق بيداغوجي

يعتبر أصحاب هذا الاتجاه أن تفاعل بين المعارف القبلية و المعارف الجديدة ليس هو السائد دائــما بســبب حــدوث عملــية المقاومة غالبا تجاه الخطابات الجديدة والتي تتسبب فيها المــعارف أو التصورات القديمة، و يظهر هذا حينما يتمسك المتعلم بتصوراته و تمثلاته الخاصة والتي تصبح حينئذ عائقا ابستيمولوجيا وبيداغوجيا.

مما يستدعي معالجة هذا الوضع لتمام العملية التعليمية، ويتم ذلك إما عن طريق تعديل هذه التصورات وتقويمها أو بتجاوزها وإلغاءها.

يعد باشلار Bachelard أول من اعتبر التصورات عائقا إبستيمولوجيا و بيداغوجيا، و يظهر هذا الموقف في افتراضه أن التعلم العلمي الحقيق لا يمكن أن يحدث إلى عن طريق القطيعة الإبستيمولوجية مع المعارف القبلية التي تبقى معارف ذاتية، حيث يوضح ذلك ي قوله:" ماهية التفكير تتمثل في فهمنا أننا لم نفهم" (Giordan ص 35).

وكذلك اعتبرها بوبر Popper أن "التصورات تشكل نظاما تفسيريا له مقاومة شديدة لكل ما يتعارض معها في حين تقبل ما يعززها"(Giordan ص 36).

حيث يعتبر أصحاب هذا الاتجاه أن التصورات تعد أطرا ذهنية يظل المتعلم سجينا لها، إذ أنه لا يرى تفسيرا للواقع إلا من خلالها وأنها تمنحه القدرة على التحكم والتصرف الملائم حسب توقعات المحيطين مما يعطيه إحساسا بالانتماء وكل هذا من وظيفة التصورات وفي حالة عـــــدم تعــــديلها أو إزالتها قد تقاوم المعارف الجديدة باعتبارها مهددة لكل ذلك.

3-7-3-الاتجاه التوفيقي

يدمج أصحاب هذا الاتجاه بين الرأيين السابقين إذ تعتبر التصورات عامل إدماج ومقاومة للمعارف الجديدة في آن واحد، وذلك اعتمادا على فرضية الصراع المعرفي "بواسطة هذا الصراع يجد المرء نفسه مدفوعا نحو إعادة توزيع المعارف المكتسبة قبليا بينة معرفية قصد إدماج المعارف فيها"(Giordan ص36).

غير أن هذا لن يتحقق إلا بقبول المتعلم بمبدأ التشكيك في معلوماته السابقة القائمة على تصورات خاطئة، وهذا بمحض إرادته ودون إكراه خارجي عن طريق الإعلان الصريح أو الضمني بعدم الفهم. وفي هذا السياق يعلن جيوردان Giordan أنه يولي اهتمامه بالتلميذ كلما صرح هذا:"إنني لم أفهم". ويعتبر هذا التصريح علامة على تخليه عن لغة التأكيد لتصوراته الخاصة وانتقاله إلى ممارسة الشك فيها، الشيء الذي يدل على قبول تغيرها. وحينئذ يجب إعطاء أهمية قصوى للتعديلات التي يدخلها المتعلم على تصوراته السابقة. وهذا ما يشكل حجة على رسوخها وتغيرها في الآن نفسه".(إدريسي ص37). وبذلك توظف التصورات عبر عملية الصراع المعرفي من أجل إنتاج تصورات أكثر علمية بشرط أن تمنح للمتعلم حرية التعبير عن تصوراته المسبقة ليتمكن من مقابلتها بالمعارف الجديدة وتعديلها.

وهذا هو الاتجاه الذي نعتبره الأصح إذ يتم بناء المعارف الجديدة بتوظيف التصورات السابقة للمتعلم مما يغير دوره في العملية التعلمية من عرض وإعادة إنتاج لمعرفة ولخطاب يتمتع بالمصداقية إلى إنجاز لمثل هذا الخطاب بمبادرته الخاصة مما يجعله حريصا على شروط مصداقية هذا الخطاب عن طريق تعديل تصوراته مع تحديد تموقعها بوضوح بالنسبة للمعرفة العلمية.مما يمنحه الإحساس بالفعالية في دوره كمشارك في إنتاج التصورات الجديدة المعدلة مع المعلم.

استطاع الإنسان أن يغـالب الطبيـعة في معـارك وتحديـات مختلفة، لقـد سـيطر علـى الفيضانـات جزئيـاً بالسدود، وتخطى البحـار والمحيطـات وسلاسل الجبـال بالثورة الصناعيـة والتكنولوجيـة، نجح في طي المسافـات والوقت معاً، ووضع أقدامه على القمر وذهب بعيـداً فـي اكتشاف النجـوم والكواكب، لكنه أبدا لم يستطع أن يقهـر غضب الطبيـعة وقدرتها علـى مفاجـأة النـاس بضـربات كاسـحة بواسـطة الـزلازل والأعاصـير والبـراكين.

إن كوكـب الأرض مهمـا بدا لنـا ساكنـا وهادئـا هو في الحقيقة متحرك وفعـال وحي أكثـر مما نتخيـل بكثير. ففي كل سنة تتحرك الأرض أكثر من مليـون مرة في أكثر من منطقة في العالم، وفي كل مرة قد تكـون الكارثة ويحـدث الزلزال الذي يخلـف بعده الموت والدمـار والخـراب. وفي كل يوم يضرب البرق الأرض بمعدل 50 إلى100 مرة في الثانيـة الواحـدة، ومن هنا تتكون الصواعق التي تحرق كل ما تجده في طريقها. زيـادة على البراكين التي تنـام لتصحو، والعواصف التي تسيـر رياحها بقـوة جبـارة وسرعة خيالية تقتلـع بها كل شيء، أوقد يكون زلزالا في قعـر المحيط يخلف تسونامي مدمرة كما حدث في شرق آسيا يوم 14 ديسمبر 2004.

إن الكوارث تمثـل تحديـا كبيـرا لاعتقادنا وإيماننا في استقرار العالـم، وتجاوزا لقدرتنـا على الفهم.

1ــ تعريف الكوارث

1ــ1ــ التعريف اللغوي:

يعرفها المنجد العربي كالتالي:

كَرَثَ: كرث كرثا و أكرث الغم فلانا أي اشتد عليه وبلغ منه المشقة.

اكترث بالأمر: بالى له واهتم به. و انكرث الحبل أي انقطع.

الكارث (م) الكارثة (ج) الكوارث: مسبب الغم الشديد.

الكريث: الكارث (المنجد في اللغة والإعلام ص 679).

أما لاروس فيعرفها:

كرث: كرث يكرث كرثا فهو كارث: الأمر الشخص أي اشتد عليه وبلغ منه المشقة.

اكترث يكترث اكتراثا: الشخص له أي حزن.

كرث (ج) كوارث ما يسبب المشقة البالغة.

كارثة (ج) كوارث 1ــ مؤنث كارث 2ــ نازلة عظيمة: كارثة الزلزال.(المعجم العربي الأساسي ص 1034)

أما باللغة الفرنسية فيعرفها لاروس:

كلمة catastrophe اسم مؤنث أصلها من اللغة الجرمانية katastrophé بمعنى قلب أو إقلاب renversement وهي: حدث مباغت يتسبب في قلب واضطراب الحياة bouleversement ،دمار وموت.

وتستعمل في الأدب بمعنى الحدث القاطع الذي يكسر تسلسـل الأحداث في التراجيديات الكلاسيكية ويقابلها في الأدب العربي العقدة.....كما أن هناك نظرية تسمى نظرية الكوارث وهي نظرية في علم الرياضيات لصاحبها ر.توم R.Thom تعنى بدراسة الظواهر المتقطعة (Petit Larousseص 171).

وتشترك كل هذه التعاريف في أن الكارثة هي حدث مباغت أو مفاجئ يغير مجرى الحياة بما يسببه من اضطراب و شدة عظيمة و دمار وموت.

1ـ2ـ التعريف الاصطلاحي:

الكارثة هي وضعية التي تتسبب فيها واقعة مفاجئة بإحداث خسائر بشرية و/أو مادية كبيـرة على مدى وانتشار واسع بحيث يترتب عليها اختلال كبير بين ما نحتاجه من إمكانيات وما يتوفر لدينا لنتمكن من العودة للحياة العادية.

تعرف الكوارث اصطلاحا حسب 4 خصائص:

1. وقوع حدث مدمر (مفاجئ في الغالب)
2. يخلف عدد كبير من الضحايا
3. يتسبب في خسائر مادية معتبرة
4. يفوق قدرات قوات التدخل والنجدة المحلية

و لأن ما تتميز به كل الكوارث هو كونها تتسبب في تعطيل كبير لمسار الحياة الاجتماعية العادية و خلل على قدر واسع قد يصل أحيانا إلى درجة الانقطاع في كل المسالك والشبكات التي تخص الحياة الاجتماعية بداية بشبكات الكهرباء والغاز و المياه الصالحة للشرب والغذاء والدواء والرعاية الصحية

والطرقات التي تسمح بمرور الأشخاص والممتلكات وانتهاء بشبكات الاتصال والإعلام، فـــإن لـــوي كروك LCrocq- يضيف إليها خاصية خامسة (L.Crocq 1996 ص 391).

5. ينتج عنه اختلال واضح في النظام الاجتماعي.

فناهيك عن الأضرار التي تخلفها الكوارث على مستوى الأفراد فهي تضرب المجتمع برمته فتهز كيانه وتخل بنظامه الاجتماعي، ثم أنه كما تلاحظ ردود أفعال فردية فإن هناك اســتجابات جماعيــة تسجل على مستوى المجتمع ككل تميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى.

1ــ3ــ تعريف الكارثة الطبيعية

زيادة على تعريفها ككارثة أي حدث مدمر يكون مفاجئا في غالــب الحــالات يفــوق قــدرة وإمكانيات قوات التدخل المحلية مخلفا عددا كبيرا من الموتى و مسببا خسائر فادحة و دمارا واســعا واختلالا واضحا في سير النظام الاجتماعي، لابد أن يكون سببــها طبيعيــا مثل الزلازل والفيضانات والبراكين والأعاصير....

وإن كان من الصعوبة بمكــان تعييــن الحد الفاصل بين الأسبــاب المتعلقــة بالظواهــــر الطبيــعية البحتة وبين الظواهر الطبيعية الناتجة عن تدخــل الإنســان، مثل ظاهرة تلــوث البيــــئة التي يتسبب فيــها الإنسان أســـاســا وينتج عنها اختــلالات طبيعية قد تؤدي إلى وقــوع كــوارث طبيعية.

2ـ تاريخ الكوارث:

إن الكوارث جزء لا يتجزأ من تاريخ البشرية فمنذ بداية الحياة على الأرض والإنسان يخاف مفاجآت الطبيعة ويحاول بكل الطرق والوسائل التقليل من أضرارها إلا أنه لم يتمكن لحد الساعة من تفاديها، وهي ما تزال تفرض عليه دائما الانبهار بقوتها والإعجاب بتمظهرها والخوف من آثارها.

إن أسطورة الطوفان le déluge المتواجدة في كل الحضارات والتي تناقلتـــها الثقافـــات المعروفة في تاريخ الإنسانية من مجتمعات ما قبل التاريخ كـــالمجتمع البـــابلي أو الســـومري إلـــى المجتمعات الحاليـــة و إن كان هنـــاك اختلافا في حقيقة وجـــودها في الواقـــع التـــاريخي لهـــذه الحضارات، مع وجود روايـــة الطوفان في كل الكتب السمـــاوية ليس كأسطورة هذه المرة وإنمـــا كقصص يكوّن جزءا عقائديـــا مهمًا لدى المؤمنين بها، تشهد على سيطرة الكارثـــة علـــى الـــذاكرة الجمـــاعية للإنسانيـــة لدرجـــة أن بعض الكوارث أصبحت تمثـــل محطات تاريخيـــة يستدل بهـــا ويقســـّم التاريـــخ لما قبلهـــا وما بعدهـــا.

2-1- تاريخ الكوارث الطبيعية

لم تخلو حقبة من حقبات التاريخ البشري من تسجيـــل ظواهر طبيعيـــة مدمرة حصدت عددا كبيـــرا من الأرواح مثل فيضانـــات وعواصف وغيرها... والتي انتقلت بين كل بقاع المعمورة. يمكـــن أن نذكر منها مثلا،

- دمار بومبي pompei باندلاع بركاني سنة 79 قبل المسيح.
- وباء الطاعون الذي قتل اروبيين من ثلاثة بين سنتي 1348 و 1356.
- زلزال ليشبونه الذي خلف 25000 قتيل سنة 1755.

- انزلاق Eruption de la montagne الجبل الذي لم ينجو منه سوى شخص واحد من بـين 30.000 ساكن لمدينةـSaint-Pierreـ في المارتنيك يوم 8 ماي 1902.
- زلازل متعددة مثل زلزال سان فرانسيسكو San Francisco سنة 1906، زلزال ميسـن Messine سنة 1908الذي خلف 100.000 قتيل وزلزال طوكيو 1923 الذي خلف بدوره 80.000 قتيل، ثم زلزال اغادير 1960 قواتيمالا 1976، زلزال الاصنام بالجزائر عام 1980 زلـزال مكسيكو سيتي سنة 1985 خلّف 10.000، مقتـل نحو 40 ألف شخص في زلـزال في إقليم جيلان بشمـال إيران عام 1990...زلزال بومرداس بالجزائر عام 2003 الذي خلف أكثـر من أفي قتيل.
- كوارث المد البحري الذي تحصد أمواجه القاتلة أرواح الآلاف من الأشخاص غرقا دوريا مثال على ذلك المد البحري الذي قتل 500.000 شخص في باكستان عام 1971.

2-2-كوارث الحوادث الكبرى (التكنولوجية) :

ثم يأتـي تلهـف الإنسـان وتسـابقه نحـو تعميـر وتصنيـع الطبيعة ليضيـف قائمـة جديـدة من الكوارث المتمثـلة في حوادث صناعية أو تكنولوجيـة هائـلة تخلف خسائر بشريـة ومادية معتبرة:

- انهيارات السدود المائيـة مما يتسبب في فيضانـات قاتلـة:انهيار سـد جلينـو Gleno سنـة 1923 في الولايات المتحدة الامريكيـة مخلفـا 200 قتيـل كـذا سـد مالباسـي Malpasset سنة 1959 والذي قتل بدوره 488 شخص.

- حـــوادث اصطدام أو حرائـــق القطـــارات والحافلات والطائـــــرات (في حالة الطيران أو علـــــى الأرض) مثـــــل في سماء مدينة نونت Nantes عام 1975 مخلفا 83 قتيلا أو اصطدام طائرتين على الأرض في مطار مدريد سنة 1983، كما حالات غرق البواخر مثل حادثة غرق الباخرة تيتانيك Titanic يوم 15 افريل 1923 والذي خلف 1513 قتيل وحالات من الرعب والفزع الشديد بين الناجيين.
- انفجـــار أو حرائـــق مستودعـــات أو ناقلات المواد الملتهبـــة كما حدث في أسبانيا سنة 1979، وفي ميناء سكيكدة سنة 2003.
- تســـرب مواد أو غـــازات سامة من المصانع قد تكون مميتة أو مخلفة آثـــــار مضـــرة بصحة الإنسان وملوثة للمحيـــط بدرجة قد تؤدي إلى اختلال التوازن في الطبيعـــة ممـــا يسبب كوارثا طبيعيـــة بدوره مثلما حدث في سيفيسوSeveso بايطاليـــــا فـــي جويليـــة 1976 ومدينة ليل بفرنسا في 2001.
- تسرب الإشعاعات النووية من المراكز النووية كما حصل في الولايات المتحدة الأمريكية في 28 مارس 1979 مما أدى إلى إجلاء 200.000 شخص من مساكنهم.
- الحرائق الكبرى مثل حريق بازار باريس Bazar de la charité de Paris سنة 1947 الذي خلف 117 قتيل بين حريق وميت في التدافع الفزع عند محاولة الهـــروب، وكـــذلك حرائق دور السينما وقاعات الحفلات والملاهي والمراقص : قاعة ســـينما روي Reuil سنة 1947 وقاعة سينما تورينو Turin عام 1982، ملهى في ساو باولو 1971.

2-3-كوارث الحروب :

إضافة إلى المحطات التاريخية المسجلة عبر الكوارث الطبيعية والصناعية التكنولوجية ينضم عدوان الإنسان على الإنسان ليسجل كوارث عظيمة ودمارا وخرابا كبيرين. عرف التاريخ الكثير من الهجمات القاتلة وحالات القصف المدمر، حالات الإبادة الجماعية واختطاف الرهائن باستعمال كل أنواع الأسلحة من التقليدية إلى الأسلحة النووية كما حصل في هيروشيما وناكازاكي يومي 6 و9 أوت 1945 خلال الحرب العالمية الثانية وفي مناطق من جنوب الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي.زيادة على ما عرفه العالم من خسائر بشرية ومادية كبيرة جدا خلال الحربيين العالميتين الأولى والثانية.

2-4- مثال: تاريخ الزلازل في العالم خلال20 السنة الأخيرة

أسفرت الزلازل في العالم عن مقتل مئات الألوف من البشر ولم تؤدي القفزات التكنولوجية التي أحرزها الإنسان سوى إلى تقليل محصلة القتلى بفارق طفيف.

14 ديسمبر 2004 زلزال شرق آسيا المتسبب في **تسونامي،** وصل عدد ضحاياه إلى نحو 300 ألف شخص، يعتبر رابع أقوى زلزال في غضون مائة عام وبلغت قوته تسع درجات.

21 ماي 2003: أسوأ زلزال يضرب الجزائر منذ أكثر من عقدين. مصرع أكثر من ألفي شخص وإصابة أكثر من ثمانية آلاف في الزلزال الذي شعر به السكان عبر البحر في أسبانيا.

1 ماي 2003: إصابة أكثر من 160 شخصا بينهم 83 طفلا في انهيار عنابر نوم في جنوب شرق تركيا.

24 فيفري 2003: مقتل أكثر من 260 شخصا وتدمير قرابة عشرة آلاف منزل في منطقة شينجيانج بغرب الصين.

21 نوفمبر 2002: مصرع أكثر من عشرين شخصا في منطقة ديامير بشمال باكستان.

31 أكتوبر 2002: فصل دراسي كامل من التلاميذ الإيطاليين يلقى حتفه في قرية سان جوليانو دي بوليا جنوبي البلاد إثر زلزال أسفر عن انهيار مبنى المدرسة على التلاميذ.

22 جوان 2002: زلزال بقوة 6.3 على مقياس ريختر يسفر عن قتل 235 شخصا في منطقتي قزوين وهمدان بغرب إيران.

12 أفريل 2002: مصرع العشرات في ثالث هزة أرضية ضخمة تضرب شمال أفغانستان خلال شهرين.

25 مارس 2002: ثاني زلزال خلال شهر في أفغانستان، وقد بلغت شدته 6.0على مقياس ريختر، وأسفر عن قتل 800 شخص على الأقل شمال البلاد.

3مارس 2002: مصرع 150 شخصا في زلزال في أفغانستان كان مركزه بإقليم سامانجان، وقد بلغت شدة هذا الزلزال 7.2.

3 فيفري 2002: ضرب زلزال بقوة 6.0 درجة على مقياس ريختر غربي تركيا، مما أزهق أرواح 43 شخصا وشرد الآلاف.

24جوان 2001: استمر زلزال لأكثر من دقيقة بجنوب بيرو، مما أسفر عن مصرع 47 شخصا وإصابة المئات. وقد بلغت شدة هذا الزلزال 7.9 درجة على مقياس ريختر.

13 فيفري 2001: قتل قرابة 300 شخص في ثاني زلزال يصيب السلفادور خلال شهر. وقد بلغت شدة الزلزال الثاني 6.6 درجة على مقياس ريختر.

26 جانفي 2001: ألحق زلزال بلغت شدته 7.9 درجة دمارا ضخما بولاية جوجارات بشمال غرب الهند، مما أسفر عن مصرع من يقدر عددهم بـــ30 ألفا فضلا عن تشريد أكثـــر مـــن مليـــون نسمة. وكانت مدينتا بهوج وأحمد آباد بين الأكثر تضررا.

13جـــانفي2001: زلزال مدمر في السلفادور بشدة 7.6 درجة، وعدد الضحايا يفـــوق 700 شخص.

21 سبتمبر1999: زلزال يضرب تايوان بقوة 7.6 ويسفر عن قتل قرابة 2,500 شـــخص ويلحق دمارا بكافة المدن الرئيسية بالجزيرة.

أوت 1999: زلزال بقوة 7.4 درجة يضرب مدينتي إزميت وإسطنبول، ممـــا يســـفر عـــن مصـــرع أكثـــر مـــن ســـبعة عشـــر ألـــف شـــخص وعـــدد أكثـــر بكثيـــر مـــن المصـــابين.

29 مارس 1999: ولاية أوتار براديش بشمال الهند تتعرض لزلزالين خلال يومين، مما يسفر عـــن مقتل أكثر من مائة شخص.

25 جانفي 1999: زلزال بقوة ستة درجات يقتل نحو ألف شخص ببلدة أرمنيا في كولومبيا.

17 جويلية 1998: مقتل أكثر من ألف شخص بعد أن اجتاحت أمواج المد التي أحدثها زلزال كـــان مركزه تحت سطح البحر، تجمعات بشرية على الساحل الشمالي الغربـــي لبـــابوا غينيـــا الجديـــدة.

26 جوان 1998: أضنة بجنوب شرق تركيا تتعرض لزلزال بقوة 6.3 مما يسفر عـــن مقتـــل 144 شخصا. وبعد أسبوع تتعرض المنطقة نفسها لتابعين قويين مما يلحق إصابات بأكثر من ألف شخص.

30 مـــــاي 1998: زلـــــزال كبيـــــر بشـــــمال أفغانســـــتان يخلـــــف أربعـــــة آلاف قتيـــــل.

مايو 1997: مقتل أكثر من 1،600 شخـــص فـــــي بيرجاند بشرق إيران، في زلزال بلغت شـــدته 7.1 درجة.

فيفري 1997: زلزال بقوة 5.5 درجة يلحق دمارا واسعا بمناطق ريفية بشمال غرب إيران، ويقتل ألف شخص، وبعد ذلك بثلاثة اشهر يسفر زلزال أقوى، بشدة 7.1 درجة، عن مقتل 1،560 بشرقي البلاد.

27 ماي 1995: زلزال يضرب جزيرة ساخالين بأقصى شرقي آسيا مما يسفر عن مصرع 1،989 روسيا. بلغت شدة هذا الزلزال 7.5 درجة.

17 جانفي 1995: زلزال هيوجو يضرب مدينة كوبي باليابان، مما يسفر عن مصرع 6،430 شخصا.

6 جوان 1994: مقتل نحو ألف شخص في زلزال وانهيارات أرضية أعقبته في كولومبيا.

30 سبتمبر 1993: مصرع نحو عشرة آلاف من سكان قرى بغرب وجنوب الهند.

21 جوان 1990: مقتل نحو 40 ألف شخص في زلزال في إقليم جيلان بشمال إيران.

17 أكتوبر1989: زلزال لوما بريتا يضرب كاليفورنيا، مما يسفر عن مصرع 68 شخصا.

7 ديسمبر 1988: زلزال بقوة 6.9 درجة يلحق دمارا بالغا بشمال غربي أرمينيا، ويسفر عن 25 ألف قتيل.

19 سبتمبر1985: زلزال هائل يهز مدينة مكسيكو سيتي ويسوى أبنية عديدة بالأرض، ويسفر عن عشرة آلاف قتيل.

3ـ تصنيف الكوارث:

يمكن للكوارث أن تصنف بعدة طرق حسب العوامل التي تأخذ بعين الاعتبار في عملية التصنيف، فقد يكون التصنيف حسب عامل واحد مثل نوع الكارثة أو سببها أو مكان وقوعها وقد

يكون التصنيف متعدد العوامل وهو التصنيف الأمثل خصوصا إذا أخذ بعين الاعتبار العوامل الإنسانية والاجتماعية. من هذه التصنيفات:

3ـ1ـ التصنيف حسب سبب الكارثة:

1. الكوارث الطبيعية: الفيضانات، الزلازل، البراكين...
2. الكوارث التكنولوجية:الحرائق الكبرى، حوادث المصانع والطائرات والقطارات...
3. كوارث الحروب.
4. الكوارث المجتمعية: التي تودي بأرواح الكثير من الناس دون حادث مادي مثـــل التجمعـــات والمظاهرات ومواسم الحج....

3ـ2ـ تصنيف Beigel و Berren

في سنـــة 1980 قام العالمـــان Beigel و Berren (Louis Crocqص 415)من مركز الصحة العقليـــة بجنـــوب أريزونا بالولايات المتحـــدة الأمريكيـــة Southen Arizona Mental Health Center بوضع تصنيـــفا للكوارث متعدد العوامـــل حســـب الخصائص الخمـــس التاليـــة:

1. درجة التأثير على الأفراد.
2. نوع الكارثة.
3. حدة الكارثة.
4. خطر تكرر الكارثة.
5. التحكم في التأثير المستقبلي.

3-3ــ التصنيف حسب درجة الخطورة:

قام مركز البحث حول الكوارث (Louis Crocq ص 415) Disaster Researsh Center بجامعة ولاية أوهايو بالولايات المتحدة الأمريكية بإرساء ملمح للكوارث حسب الخصائــص التاليــة:

1. اتســاع منطقة التأثر بالكارثة،
2. درجة التعميــر أو العمران والتصنيــع داخل منطقة الكارثة.
3. عدد الضحايا.
4. أهمية الخسائر المادية المترتبة عن الكارثة.
5. إمكانيــة توقع الكارثة من عدمه.

يتمركز هذا التصنيف حول درجة الخطورة للكارثة كما يبدو في الجدول التالي:

درجة الخطورة	منطقة التأثير	درجة التعمير و التصنيع	عدد الضحايا	أهمية الخسائر	إمكانية توقع الحادث
1	عدد من البلديات	معمرة ومصنعة	أكثر من1000	علمية	غير متوقعة ومباغثة
2	بلدية واحدة	معمرة أو مصنعة	من100 إلى 1000	متوسطة أو متفرقة	غير متوقعة مباغتة
3	حي واحد	غير معمرة وغير مصنعة	أقل من 100	ضعيفة	متوقعة ومتدرجة

صور لبعض الكوارث الطبيعية



بركان

إعصار

غضب الطبيعة

برق ورعد

عواصف

زلزال

انهيار ثلجي

تسونامي

4 ــ مراحل وقوع الكــارثة:

تختلف الكوارث فيما بينها في خاصية إمكانيــة التوقــع لها فبينما بعض الكــوارث تكـــون قابلة للتوقــع في زمـــان ومكـــان حدوثها(كوارث الحروب وحالات التجمعات الكبرى للأشــخاص خلال مواسم الحج والتظاهرات الرياضية وغيرها...) مما قد يسمح للإنسان التــدخل للتقليــل مــن خسائرهـــا أو الإعداد لإغاثة المتضررين منـــها، يبقى بعضـــها الآخر غير قابــل للتوقع (بعــض الكوارث الطبيعيــة: الزلازل...) فهي تحدث مباغتــة. ولكنــها تشترك جميعا فــي كونـــــها تقــع حســب تسلسل زمني في أحداثها يمكن أن نقدمه على شكل المراحــل التاليــة:

4-1-مرحلة الحالة السابقة للكارثة:

وهي مرحلة التعرف على الحالة التي سبقت الحادث المتسبب في الكارثة داخــل جماعة معينة. وحصر عوامل التي يمكن أن تزيد من تأثير الكارثـــة وتعقد من نتائجها مثلا العوامل المساعدة على ردود الأفعال أوالإستجابات الغير ملائمة.

4-2-مرحلة الإنذار:

هي المرحلة مهمة جذًا حيث أنّها محددة بالنسبة للجماعة، فخلالها ترتفــع حالة الانتباه الشديــد والتأهــب لحدوث الكارثة واستحضار و السلوكات والتصرفات المؤدية للنجاة و إنقاذ الآخرين.

خلال هذه المرحلة يظهــر القلــق الايجــابي الذي يبعــث علـــى إبـــداع تصـــرفات يقظـــــة ودفاعيـــة وأخذ الاحتياطيات اللازمة و اتخاذ القرارت والإجراءات المساعدة على النجاة.

ولكن من الممكن أن تتحول إلى مرحلة انتشار الإشاعات المهوّلة من الأحداث والمحبـطة عوض تقليصهـا فينتشـر القلـق السلبي الذي يؤدي إلى حالة من الهيجان والحركيـة الزائدة والغير ملائمة قد تتسبب في تعطيل وتعقيـد الوضع أكثر

كما يمكن أن تكـون بدون أيـة فـائدة تمـامـا خاصة في الحالات التي يكـون فيـها تكـرار حدوث للكـارثة ممـا يؤدي بالسكـان إلى حالة من التعـود ممـا يؤدي بهـم إلى عـدم الاهتمـام واللامبـالاة بأخذ أي احتياطيـات لمواجهة الحدث...

أو عندمـا يكـون رد فعل السكـان حـالة من الرفض أو عدم تصديق وشوك وقـوع الخطـر أو التقليل من حجمه(وهذه الحـالة قد تنتقل بالعدوى) فيحـاولون تبسيـط الأمر والانغمـاس القصدي والكامل في المشاغل والمهـام اليوميـة، فلا ينتج عـن هذه الفترة أية احتياطات.

3-4-**مرحـلة الحدث (الواقعة) أو الصدمة:**

تعتبـر هذه أهم مرحلة في أحداث الكارثة مـن دون شـك، فهي مرحـلة مهددة جـدا بمـا تحمـله من عنف الحدث وفجائيتـه وعدوانه الخارق لنفسيـة الأفراد قد يصل إلى درجة التصدع الذي يصيب الجهاز النفسي في حالات الصدمة النفسيـة، يصـاب الأفراد بحالة من الضغط أو الإجهـاد النفسي Stress تختلف حدتها نسبيـا حسب الأفراد واستعداداتـهم النفسيـة وحسـب الوضـعيات والظروف التي يكونون فيها عند وقـوع الحدث.

هذه الحـالة من الضغط والشد النفسي تؤدي إلى نتائـج متنـاقضة: من جهة قد تسـبب حالـة من الانتبـاه واليقظـة والتأهـب النفسي والذهني و الشد العصبي العضلي يؤهل الضحايا من أجـل ردود أفعـال واستجـابات حركية لازمة وأخذ القرارات الضرورية لمواجهة الموقـف. ومـن جهـة

أخرى قد تكـــون ذات أثـــر نفسي حركي سلبي يؤدي إلى حـــالة من الذهـــول الذهني والشلل الحركي تمنـــع الأفراد من اتخاذ أي قرار أو القيام بأي حركة تصـــل بهم إلى حـــالة جمـــــود تـــــام وســـط الأخطـــار المحدقة بهم، كما قد يظهـــر بالعكس عند أفراد آخرين حـــالة مـــن الهيجـــــان الحركـــي بحركات كثيـــرة غير متنـــاسقة، أتوماتيكية بدون هدف أو فائدة بسبب حالة الجمود الذهني الكامل لكن هذه الحركات لا تؤدي بهم إلى تفـــادي الخطـــر بل بالعكس قد تعرضهم له أكثر.

يعيش الأفراد خـــلال هذه التجربـــة حالة من الفزع والفوضى يفقدون خلالها المعالم المكانيـــة والزمنيـــة (خاصة حالات الزلازل) يصاحبها إحســـاس بالعجـــز عن تقييـــم الوضع ومقدار الخطر وأخذ القرارات اتجاهـــه وإحســـاس بالهلـــع اتجـــاه ما يحدث، كمـــا أن كل فـــرد يتهيأ لـــه أنـــــه مركز الكارثة -مفهوم المركزيـــة Centralité - يجـــد معـــه انطبـــاع بقمـــة الضـــعف والهـــوان Vulnérabilité من غير أي حماية في مواجهة الموت – الاعتراف المبـــاغت بالضعف وانهيـــــار الأسطورة الداخلية باللاضعف .Le mythe intérieur de l'invulnérabilité كما تلاحظ نفـــس هذه الاستجابات و الردود لدى المنقذيـــن والمتدخليـــن أحيـــانا كثيـــرة كمـــا تحدث لدى الضـــحايا أمام هول انتشار الدمار و الخراب وكثـــرة عدد الضحـــايا ومشاهـــد خطورة الجروح والإصـــابات المطلوب منـــهم علاجهـــا مع اختلاف تام في الإطار العلاجي المادي والإداري أو فقدانه أحيـــــانا أخـــرى فيكون عليهم إيجاده مع الإحساس بالعجز أو الذنب خصوصا مع نقصـــان وســـائل الإنقـــاذ والإغـــاثة أو تأخرها في هذه المرحلة مما يزيـــد في حدة توترهم ناهيـــك عن تمثلـــهم بالضحايا.

4-4-مرحلة ردود الأفعال أو مرحلة الاستجابة:

هي متعلقة ومترتبة بقدر كبير على المرحلة التي قبلــها من خــلال الحــالات الذهنيــــة النــاتجة عنــها عند الأفراد من إنهــاك على المستــوى النفسي والذهني الحركــي والانفعــالي والإرادي واختلال النظام المكاني والزماني، استمرار حالات الخوف والهلع والإحساس بالضعف الكامل والعجز عن الفعل، والنكوص إلى المرحلة البدائيةGrégaire(مرحلة القطيع) للبحث اليائس عن النجاة مع ميل لتقليد أول نموذج فعل يحضر أمامه.

قد يظهر في هذه المرحلة سلوكات عقلانية ضرورية ومفيدة، قد يضل الفرد قادرا على تبنــي إستراتيجية ذهنية ايجابية وواضحة والاتجاه إلى سلوكات وتصرفات متعلمة سابقا حسب حدة الحدث وشدة الكارثة واستعدادات الفرد النفسية و وجود تــاطير ناجح مهيكل مسبقا أو مستحدثا يصدر أوامر واضحة وناجعة.

كما يمكن أن نلاحظ سلوكات غير ملائمة تماما وقد تكــون خطيــرة مثــل اســتمرار حالــة Stupeur ـ Inhibition ـ Commotion تصل عموما إلى حركة و انتقــال متثــاقل إلى خــارج منطقة الحدث، أو حالات الفزع والهروب في كل الاتجاهات بما تحمله من نكوص بدائي تسيطر فيه الرغبة القاهرة في الهرب مع تغييب كل قيم الحضارة والمدنية (حالات التدافع التي قد تتســبب فــي موت من نجا من الكارثة) مع الميل إلى التقليد دون تفكير...أو حركات كثيرة متكررة من غير فائدة أو هدف، وانتشار حالة من العجز على أخذ القرار.

4-5-مرحلة الانفراج:

تظهر فيها العودة رويدا رويدا إلى السلوكيات العادية و استرجاع القـدرات الذهنـية المؤدية إلى تقييم الوضعية على ما هي عله وإمكانية اتخـاذ قرارات عقلانـية المناسبة مـع عـودة الأفراد إلى المجال الاجتماعي المألوف لديهم من قبل باجتماع أفراد العائلات.

من السلوكات الغير ملائمة في هذه المرحلة ما يلاحظ من حركة جبريـة جماعيـة لعـودة الضحايا إلى مكان الكارثة تختلط مع حركة المتدخلين والمنقذين وبعض الفضوليين مما يسبب خطورة وتعقد عمليات الإنقاذ.

4-6- مرحلة التعقيد:

يظهر في هذه المرحلة عمليات تفريغ جماعية بعد المراحل السابقة التي أجبر فيها الأفراد على تحمل الحدث وإحساس العجز أمامه بسبب حالة الذهول sidération التي كانت تعتريهم. بمعنى آخر يسترجع الأفراد القدرة على المبادرة وعلى الفعل والذي قد يتوجه في هذه المرحلة إلى الانتقام مـن المحيط أو الوسط الطبيعي الذي كان عنيفا وعدوانيا ومن النظام الاجتماعي الذي لم يتمكن من توقـع الحدث ولا الحماية منه.

إن سلوكيات هذه المرحلة قد تكون على شكل تدميري وتخريبي قد يصل إلى حد الاعتداءات على الأشخاص والممتلكات (فمثلا بعد الانفجارات النووية بنكازاكي باليابان شوهد عمليات عنـف وتخريب ، كمـا أن التـدافع داخـل الملاعب تتبعه عمليات شغب وتحطيم ، مثل ملعب ليما فـي 26 ماي 1964 وملعب إيران 26 مارس 2005 بعد مقابلة إيران واليابان والتي مات خلال عمليات التدافع عند الخروج من الملعب 6 أشخاص وعمت الفوضى والرعب بقية الموجودين في الملعـب)

كما قد لا تبدو هذه التعقيدات السلوكية لهذه المرحلة إلا متأخرة أو على المدى البعيد مكونـــة بـــذلك ذهنية تسمى بذهنية ما بعد الكارثة mentalité post-catastrophique على شكل تصرفات تعبر على الحداد المستمر والطويل ، شعور قوي بالذنب لدى الناجين اتجاه من ماتوا يكبلهم عن الاستمرار في مزاولة الحياة العادية . كما قد يخلق لديهم ميولات نحو السلوكات الاتكالية واللاســتقلالية نتيجــة الإحساس المستمر بالعجز وعدم القدرة على المبادرة وانتظار الفعل من الآخر مثل الدولة والمؤسسات العالمية... مما يؤدي في النهاية إلى تشكيل مجتمع اعتمادي .

إلى جانب إمكانية ظهور عقلية الاحتجاجات المتكررة التي تنتشر بعملية العدوى بين سكان منطقة أو مدينة بأسرها وقد تمتد لعشرات السنين وتستغل ذكرى الكارثة في تدعيمها كل سنة.

5 - مناهج و أساليب دراسة الكوارث

5-1- تاريخ تطور الدراسات حول الكوارث:

لقد رافق تاريخ الكوارث الطبيعية دراسات علمية عديدة في مجالات بحث مختلفــة ارتبطـــت بالكوارث بطريقة مبــاشرة أو غير مبــاشرة ســواء العلــوم دقيــقة وتكنولوجية المتعلقة بأسبــاب أو آثــار الكوارث في الجــانب المادي كالجيولوجيا والفيــزياء وعلم الهندســة المدنيـــة و علـــم الهندســة المعمارية... أو العلــوم الإنسانيــة والطبيــة المتعلقــة بالجوانب الإنسانيــة والاجتماعية للكوارث كالأنثربولوجيا وعلم الاجتماع والطب العقلي للكوارث Psychiatrie des catastrophes منها الدراسات والبحوث النفسيــة والطبيــة العقليــة حول الاستجابات النفسيــة وردود الأفعـــال الفرديــة والجماعيــة أمام الكوارث والإختلالات الاجتماعية التي خلفتها كوارث ونكبات مرت بهــا الإنسانيــة.

ولكن مقارنة بتاريخ الكوارث في العالم وما تمثله من خطر وتهديد لحياة البشرية، فإن البدايات للدراسة العلمية المنظمة قد تأخر كثيرا وبصفة أخص الدراسات النفسية. فقد كانت البدايات الأولى مع كوارث الحروب التي حظيت بالاهتمام الأوفى من قبل الحكومات التي كانت تتأهب لها بـــإجراءات دفاعية على عكس أنواع الكوارث الأخرى التي لم يولى لها نفس الاهتمام، وحتى هذا القدر الضعيف من الاهتمام كان يركز فيه على الجوانب المادية والإغاثة الصحية وبصفة أقــل الجوانـــب النفســية والنفس اجتماعية. مما أخر ملاحظة وجمع البيانات الخاصة بنتــائج وردود الأفعــال والاســتجابات النفسية بعد معايشة الكوارث، ناهيك عن إعداد برامج تدريبية وعلاجية تكفلية خاصة علـــى المـــديين المتوسط والطويل، أو تحضيرات نفسية لسكان المناطق المعرضة لكثرة للكـــوارث علـــى اخـــتلاف أشكالها وأنواعها. وقد التقت هذه اللامبالاة من قبل السلطات والمسئولين مع نقص الوعي لدى السكان الناجين. مما تسبب أيضا في تأخر الدراسات والبحوث الخاصة بالكارثة ونتائجها و ظهور مؤسسات ومنظمات علمية متخصصة في هذا المجال.

وقد لعبت وسائل الإعلام على اختلاف أنواعها دورا آخرا لا يقل أهمية عن الأسباب السابقة والتي أخرت تطور هذه البحوث بسبب سياسة التكتم والتعتيم التي كانت تمارسها، حول كل ما يحدث أثناء الكارثة وما يعقبها وما ينتج ويترتب عنها، وهذا بحجة تفادي البلبلة وعدم إثارة قلق وانزعـــاج الأهالي.

ومهما كان الوضع فإن تطور البحث العلمي النفسي حول الكوارث الطبيعية مر بثلاثة مراحـــل أساسية هي:

5-1-1- المرحلة التمهيدية:

والتي تصل إلى غاية 1934 أين ظهر فيها علم النفس الجماهيري مع غوستاف لوبو Gustave le bon سنة 1895 كما برزت معظم المحاولات المنعزلة لأخصائيين نفسانيين مثل محاولة وليام جيمس William james 1906 التي تعرض فيها إلى زلزال سان فرانسيسكو . وكذا محاولة س . برانس s. prince التي قام فيها بدراسة حول انفجار داخل باخرة في هالي فاكس. وأشهر أعمال هذه المرحلة ما قدمه هـ . كانتريل H.Cantril حول حالة الرعب والفزع التي حصلت بسبب حصة إذاعية لـ إرسون وايس orson welles بعنوان "هجوم من المريخ" والتي تم بثها يوم 30 أكتوبر 1938 في ولاية نيوجرزي في الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث أبدع إرسون وايس orson welles في تقديم حصته إلى درجة جعلت الناس يصدقون وقوع الهجوم عليهم ، مما تسبب في تولد حالة من الهلع والفزع وسط السكان.

5-1-2-المرحلة الثانية:

مرحلة ما بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية: أي بين سنة 1940-1960:

تولدت هذه المرحلة جراء القلق الذي انتشر على المستويين الرسمي (الحكومات، السلطات...) وغير الرسمي (الجمعيات...) من أجل السيطرة والوقاية من ردود الأفعال والاستجابات المرضية الفردية غير الملائمة وحالات الرعب و الفوضى الاجتماعية التي تعم في المناطق العمرانية التي تتعرض للهجمات بالقنابل، بالإضافة إلى توقع ردود الأفعال في حالات التعرض الفردي أو الجماعي للاعتداءات بأسلحة جديدة غير معروفة مسبقا لدى الضحايا في ظل السباق نحو التسلح الذي عم تلك المرحلة.

كما اشتد القلق من أجل تحسين أداء الجنود على الجبهات مما اضطر إلـــى دراســـة نفســـيتهم وتأثرهم بما يحدث في أرض المعارك.

كل هذه الأسباب مجتمعة ساهمت بشكل أو بأخر في ظهور وبـــروز بعــض المؤسســـات البحثيـــة المتخصصة التابعة للحكومات، وقد كان البحث متناميا بشكل جيد في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من غيرها، بإشراف المركز الوطني للبحـــث فـــي صـــبر الآراء "NORC" National Opinion Reasearch Center مع ستوفر، فريتس، وماركس، Marks. Fritz .Stouffer الذين عـــالجوا المواضيع المتعلقة بالأحداث الكارثية أما ج . جانيس J. Janis حول الضغط الانفعالي.

كما ساهمت الأكاديمية الوطنية للعلوم بالتعاون مع المركز الوطني للبحوث NAS – NRS في طبع العديد من التقريرات حول الكوارث منها تقرير حول فيضانات هولندا 1953.

5-1-3-المرحلة الثالثة:

تبدأ في سنوات الستينات التي شهدت إنشاء وانتشار المراكز المتخصصة والتي كانت في أغلبها ملحقة بالجامعات أكثر تأهيلا لاحتوائها على التأطير البشري والوسائل والوثائق الأكثر ملائمة لإرساء معارف حول الكوارث بصفة عامة والطبيعية على وجه الخصوص و هذا على المدى والأمد الطويل.

أشهر هذه المراكز "مركز البحوث حـــول الكـــوارث" Dis aster Reasearch center "D.R.C" بجامعة ولاية أوهايو، في كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية الذي أنشئ خلال 1963 تحت إدارة البروفيسور كارونتيل Quarantell.

أما في فرنسا فقد بدأت أول بوادر البحث حول الكوارث مع المركز الخاص بالدراسات حول الكوارث تحت إدارة البروفيسور ست وتزل Stoetzel، كما ظهرت عدة مراكز أخرى في بلجيكـــا، إيطاليا، كندا، اليابان... وغيرها من الدول. ولهؤلاء يعود الفضل عموما في ظهور دراسات ســيكو اجتمـــاعية لبعض الكوارث منها كارثة فيزين بفرنسا Feyzin بعـــد انفجار مخازن للغاز فـــي 04 جانفي 1966، وكارثة انفجار معمل المواد الكيميائية فـــي فلـــيكس بـــوروغ Flixborough ببريطانيا في 01 جوان 1974، والدراسات حول السلوكات الملاحظة لحالة الزلازل في اليابان، كذلك الدراسة التي قامت في سيفيسوSeveso بإيطاليا و التي اهتمت بالاستجابات وردود الأفعال الملاحظة في حادثة تسرب غازات كيميائية سامة وخطيرة في جويلية 1976.

2-5 مناهج دراسة الكوارث:

فيما يتعلق بالمجال المنهجي خصوصا المظاهر النفسية والاجتماعية المرتبطة بالكوارث (بعيدا عن المظاهر المادية والتدخلات الطبية) يوجد عدة طرق للمقاربة و البحث وكذا التحليل والتقييم التي يمكننا تصنيفها كالتالي:

5-2-1- المقاربات الدلالية:

والتي تهدف إلى الإحاطة بمجال الدراسة من خلال التعرف على الوقـــع النفســـي الوجـــداني الانفعالي للمفردات والكلمات، ضمن الضمير والوعي الجمعي للمجتمع العام والقيام بمقارنات ما بين الثقافات في وجود وعدم وجود المفردات المقابلة. وكذا سرعة بروز وظهور بعض المفردات دونـــا عن أخرى وهكذا...

5-2-2- المقاربات التاريخية:

التي تعمل على إعادة تحديد معالم الكوارث المذكورة في التاريخ خصوصا المدنية والعسكرية منها بكل الظروف المحيطة بها آنذاك والسلوكيات والاستجابات التي ظهرت خلالها.

لا تعتمد هذه الدراسات على روايات الناجين من الكوارث فحسب، بل تتعدى ذلك إلى وثائق أرشيفية وسمعية بصرية.

5-2-3- الملاحظات الميدانية:

وهيكل تلك الملاحظات التي تتم في الميدان عن طريق أخصائي نفساني وعالم اجتماع أو طبيب عقلي والتي تكون أجدى وأكثر دقة من الملاحظات التي يقوم بها غيرهم من الشهود حول الكارثة.

إن المتخصص له القدرة على ملاحظة خصائص السلوك وسماته التي قد لا يمكن لغيره القيام بها. ناهيك على أن هذه الملاحظات قد تكون مسنودة بتسجيلات سمعية، أو سمعية بصرية أو بعض الصور مثل التي التقطت من طرف الصحفيين خلال حالة الهلع الذي حصل في ملعب ليما في البيرو في 25 مايو 1964 والذي خلف 400 ضحية، تلك الصور سمحت بإعادة رسم لتحرك الجمهرة وخطوط حدوث الكارثة أي إمكانية رؤية سلوكات وتصرفات التي قام بها الموجودون في التزاحم وإمكانية تفسير هذه السلوكات.

وكذلك سمح التواجد السريع والفوري للفرق الطبية العقلية والفرق النفسية مباشرة بعد زلزال سكوبجيا Skopje في يوغسلافيا بالقيام بملاحظات مهمة حول ردود أفعال الناجيين من الكارثة وخاصة إمكانية المقارنة بين مختلف الجماعات من الناجيين من خلال هذه الردود والاستجابات.

5-2-4-المقاربة عن طريق استجواب الأحياء الناجيين:

هذا النوع من الاستجوابات أو التحقيقات لابد أن يتم في أقرب وقت ممكن بعد الكارثة وذلك لتتم والضحايا- لا يزالون تحت وقع الانفعالات-يستحضرون الذكريات البصرية أو السمعية بوضـــوح، لأنهم ربما يحاولون بعد مرور مدة زمنية التعديل والتغيير في محتوى وشكل هذه الذكريات وذلك من أجل تفادي الإحساس بالذنب أو العجز.

هذه الاستجوابات ينبئنا بالحالة النفسية للضحايا ومدى تأثرهم الانفعالي وعجــزهم وقــدرتهم علـــى المبادرة واتخاذ القرار ومعاشهم وكذا سلوكاتهم السوية وغير السوية.

وتبقى مقاربة الملاحظة والاستجواب الميداني (التحقيقات) محدودة لأننا لا نـــتمكن إلا مـــن استجواب الأحياء والناجين دونا عن الأموات الذين يشكلون بصفة أكيدة مصدرا مهما للمعلومات حول الهلع والخوف وحالات الذعر والاستجابات غير السوية.

لذلك فإن ملاحظة والتحقيق في أماكن تواجد الجثث قد ينبئنا عن اســـتراتيجية تفكيـــر بعـــض الضحايا مثلما حدث في كارثة سان لوران دوبون Saint-Laurent- du- Pont حيـــث أن أمـــاكن تواجد الجثث دلت على خطوط الهرب التي اتخذها الضحايا . وكذلك سمحت نفس استراتيجية البحث من تحديد أماكن تجمع واتجاهات وتقرير مواضع الملاجئ بعد 19 قرنا من حدوث كارثة بومباي.

5-2-5- المقاربة عن طريق سبر الآراء:

إن مراكز البحث والدراسات تعتمد في استكمال دراساتها الميدانية - خـــلال الكارثـــة – بإجراء تحقيقات واستجوابات عند السكان حول معارفهم فيما يخص الكوارث والتصرفات المتوقعة في حالة حدوثها . إلا أن هذا النوع من المقاربة يحمل بعض المساوئ أهمها الجانب التخيلي غير الواقعي

وهذا لأن الفرد الذي قد يجيب إجابات متكيفة يمكن له هو نفسه في حالة حدوث الكارثة في الواقع أن يتصرف بطريقة مغايرة وغير متكيفة تماما.

5-2-6- المقاربات التجريبية بالوضعيات التمثيلية:

تتلخص هذه التجارب في تمثيل وضعيات الكارثة وتدريبات حول عمليات الإخلاء للأماكن مما يحد من فاعليتها. لأسباب أخلاقية لا بد من إعلام الأفراد الخاضعين للتجربة بالجانب التمثيلي Simulé لها.

5-2-7 – المقاربة التجريبية عند الحيوانات الاجتماعية:

مثل مجتمعات النمل، وفئران التجارب... ويتم ذلك عن طريق إحراق أو إغراق أماكن تواجد هذه الحيوانات وملاحظة كيفية تصرفها ومختلف سلوكاتها، غير أن نقل هذا النتائج وتعميمها على السلوك الإنساني وتطبيقها في فهم السلوكات البشرية يبقى أمرا بالغ الصعوبة و متدني المصداقية.

5-2-8 – المقاربة التمثيلية عن طريق إحداث النماذج على الحاسوب:

تتم عن طريق الألعاب المتمحورة حول استراتيجيات الإخلاء في وضعيات أزمة إبتداءا بإخراج عناصر اللعبة من مخارج ضيقة إلى إمكانية إخلاء أماكن في وضعيات كارثية.

نلاحظ أن لكل منهج بعض النقائص أو السلبيات وانه للحصول على نتائج أكثر مصداقية يستحسن استعمال أكثر من منهج إذا أمن ذلك لضمان التكامل والدقة، كما يتوجب على الباحث اختيار المنهج المناسب لموضوعه.

6ـ الآثار النفسية للكوارث

تخلف الكوارث زيادة على الدمار والخراب المادي والموت والإصـــابات والجـــروح الجســـدية المختلفة، صدمات أو هزات انفعالية Chocs émotionnels وردود أفعال نفسية قد تصل إلـــى حـــد تشكيل أعراض الصدمة النفسية التي تغير حياة ومعاش المتعرض لها نهائيا، لذلك تصنف الكـــوارث ضمن الأحداث الصادمة Traumatisant والتي تتحول إلى الصدمية Traumatique يبرز ذلك مـــن تعريف الكارثة نفسها ومن خلال تعريف الحدث الصدمي والذي نتعرض له بالتفصـــيل فـــي الفصـــل الصدمة النفسية.

تختلف ردود أفعال أو استجابات عقب الكوارث في نوعيتها وشدتها و مدى شـــذوذها أو تكيفهـــا والمدة التي تستغرقها حسب عوامل متعددة تتعلق بالكارثة نفسها أو بالظروف المحيطية التـــي وقعـــت فيها أو قد تتعلق بالأفراد أنفسهم حسب الفروق الفردية بينهم في التوقع للحدث ومدى هشاشة جهازهم النفسي.

تتمحور كل ردود الأفعال حول مفهوم الضغط أو الإجهاد stress لأن عضويتنا في الواقع غيـــر مؤهلة لأن تعيش في حالة طوارئ بل في جو روتيني مستقر. لذا يصاحب هذه الاستجابات أعـــراض مضايقة كخفقان القلب، وشحوب الوجه، و التعرق، والارتعاش، وتقلصات هضمية...كما أنها مكلفـــة جدا على مستوى الطاقة إلى درجة الإنهاك أحيانـــا. تنقسم هذه الردود إلى فردية وجماعية:

6ـ1ـ الاستجـــابـــات الفــــــردية:

6-1-1 ـ استجابة الضغط التكيفي:

وهي استجابة طبيعية وضرورية عند مجابهة أي تهديد أو خطر، فــي شــكل رد فعــل بيولوجي، فيزيولوجي ونفسي منذر عن خطر ومحرض للتعبئة والدفاع، بفضل آثاره النفسية الثلاثة: تركيز الانتباه، تعبئة الطاقة النفسية، والتحريض على الفعــل والعمــل. هــذا إضــافة إلــى آثــاره فيزيولوجية(تحرير السكر في الدم، رفع الضغط الدموي، توجه الكتل الدموية مــن المحــيط نحــو الأعضاء الداخلية تزايد التنفس ،ارتفاع دقات القلب...) التي تجعل الجسم في غاية الاستعداد للفعل.

6-1-2 ـ استجابة الضغط المتجاوز:

في الحالات التي يكون فيها الحدث ذو شدة كبيرة، أو الفرد الذي يتعرض له أكثر ضــعفا (إرهاق، وحدة، استعداد مرضي.........) قد يستجيب الفرد باستجابة الضغط المتجاوز و التي يمكن أن توجز في أربعة عناصر:

- رد فعل الصعقSidération يتمثل في التخدير العقلي، والتبلد العاطفي، والكــف الإرادي والحركي. حيث يبقى الشخص ساكنا وسط الخطــر دون قدرة على التفكير والحركة.
- رد الفعل التهيجي Agitation المنبعث من الاندفاع للفعل من غير أن يكون الشــخص قــادر على إرصان دفاعات التكيف مع الوضعية. ويظهر على شكل حركات غير متناســقة بســبب الإثارة الزائدة النفس حركيةExcitation psychomotrice

- رد فعل الهروب الفزع fuite panique هروب منفرد أو جماعي مندفع و وحشـــي، حيث يتم الاعتداء على كل من يعترض طريق الهروب. مما يزيد درجة الخطـــر علـــى الفـــرد نفســـه والآخرين.
- رد الفعل الآلي Gestes automatiques يقوم الفرد بسلوكات وحركات تبدو فـــي ظاهرهـــا تكيفية لكنها دون هدف وعموما لا يتذكرها الشخص بعد أن' يستيقظ' Après coup.

6-1-3 ــ استجابة عصابية أو ذهانية:

في الحالات التي يكون الفرد حاملا للاستعداد مرضـــي، فقـــد نلاحـــظ ردود أفعـــال عصـــابية (هستيرية)أو ذهانية.

6ــ2ــ الاستجـــابـــات الجمـــــــاعية

عندما تحل الكارثة، تتجمع كل الأفكار والانشغالات الفردية لتصب في انشغال وحيد ناشئ عـــن الوضعية الجديدة الطارئة. لتنتج عنه نماذج سلوكية متماثلة:

6-2-1 ــ استجـــابـــات تكيفـــية :

وتتمثل عموما في إخلاء مكان الكارثة في نظام وبسلوكيات منسقة من أجل المساعدة والإغاثة- قد تكون هذه السلوكيات منظمة أو تلقائية- ولكن ما يميزها هـــو احتـــرام الســـلم الإداري Hiérarchie، تنظيم المهام واحترام الأخلاق والتضامن.

6-2-2ـ استجـابــات غير تكيفــية:

منهـــــا الهــــــروب الجماعي، الذهول أو خلط Confusion، حالة صــعق جماعيــة، نــزوح جماعي أو على عكس ذلك حركة عودة نحو مكان الكارثة مما يعقد ويعرقل عملية الإغاثة والإخــلاء، الإشاعات المثيرة للتوتر... .

6ــ2ــ3ــ الاستجابات بعيدة المدى:

قد يحدث بفعل الكارثة على المدى البعيد تغييرات في اتجاهـــات وتقاليـــد وثقافـــة المجتمـــع المصاب، وهذا ما يطلق عليه ل.كروك " ذهنية ما بعد الكارثة" Mentalité post-catastrophique (Louis CROCQ ص 396)

قد تتكون ذهنية ايجابية مثال على ذلك اليابان حيث يشارك السكان فـــي التـــدريبات الوقائيـــة والإغاثة في جميع ألاماكن والمؤسسات التعليمية وأماكن العمل، وذلك في الفاتح من سبتمبر من كـــل عام إحياء لذكرى زلزال طوكيو ويوكوهاما في 1سبتمبر1923. ولكن قد تكون ذهنية سلبية مثل تقبل والاستسلام للكارثة كشر لابد منه ورفض اتخاذ تدابير وقائية Fataliste، أو ذهنية اتكالية مع معـــاش احتجاجي... أو ذهنية محافظة بجوانبها الحسنة: ترابط وتضامن الناجيين من الكارثة، إحياء ذكـــرى المفقودين... وجوانبها السيئة: الانعزال الإرادي، الحذر المفرط من العالم الخارجي، ورفض داخلـــي لأي تغيير.

ومهما كان نوع هذه الاستجابات الفردية أو الجماعية وسواء أكان الضغط تكفيا أو متجاوزا في ظروف الطوارئ، فإن هذا الضغط هو عبارة عن حالة تقع بعد الحدث مباشرة وممكن أن تتطور على المدى البعيد إلى:

أ ــ إما التلاشي والزوال رويدا رويدا وأن يرجع الفرد إلى حالته الطبيعية خلال بضع دقائق إلى بضع ساعات.

ب ــ أو بعد فترة كمون ظهور أعراض مرضية تسمى حسب المدرسة الفرنسية زملة ما بعد صـــدمية Syndrome Post-Traumatique أو حسب المدرسة الأنجلوساكســـونية و تصـــنيف DSM IV حالة الضغط ما بعد الصد مي Etat de Stress Post Traumatique -PTSD. وبالتـــالي يتحـــول الأثر الكارثي إلى ما يعرف بالصدمة النفسية. وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في الفصل الرابع.

7- اهتمامات الهيئات العالمية بالكوارث:

إن سبب رســـوخ الكوارث بما فيها الكوارث الطبيعيـــة في الذاكرة الجماعيـــة الإنسانيـــــة يعود أساســـا لمـــا تخلفه من أضـــرار ماديـــة معتبـــرة وخسائر كبيـــرة في الأرواح (مثال علـــى ذلك تاريخ كارثـــة الزلزال في العالم خلال 20 سنة الماضية الملحق رقم...) مما يستوجـــب تجنـــد الإنسانيـــة بأكملهـــا ليســـت فقط للمساعدة في عمليات الإنقاذ و الإغاثـــة بعد وقـــوع الكوارث بـــل لمحاولة التأهب والوقاية منها كلمـــا أمكن ذلك. و ذلك من خلال دراسة إمكانيـــة توقـــــع حـــدوث الكوارث والإعداد لمواجهتها والتخفيف من أضرارها سواء المادية أو البشرية ومنها علـــى الصـــعيد النفسي، نظرا لما تخلفه الكوارث من آثار نفسية سلبية قد تصل أحيانا إلى مستوى الصـــدمة النفســـية التي تعيق صاحبها من مواصلة حياته بطريقة طبيعية وكذلك تحضيـــر سكان المناطق الأكثر تعرضا لها بإجراء تدريبـــات مناسبـــة حول السلوكيات اللازمة قبل وعند وبعد وقـــوع الكارثـــــة، وخلـــق ثقـــافة المواجـــهة والحد من الكوارث عن طريق تبادل التجـــارب الكارثيـــة بين الدول والهيئـــــات والتنسيـــق بين الجهـــود والأبحـــاث العلمية في شتى المجالات المتعلقـــة بالكوارث في الجامعـــات

و مؤسسات البحث العلمي العالمية. وأكبر مثال على هذا الاهتمام العالمي و التدخل الدولي ممثلا في المؤسسات الدولية مؤسسة الأمم المتحدة التي أعلنت يوم 13 أكتوبر 2004 اليوم الدولي للحد من الكوارث الطبيعية تحت شعار " التعلم من كوارث اليوم لمواجهة أخطار الغد"

فبموجب (القرار رقم 236/44 ، بتاريخ 22 ديسمبر 1989) (نشرية الأمم المتحدة) ، عينت الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم الأربعاء الثاني من شهر أكتوبر ليكون اليوم الدولي للحد من الكوارث الطبيعية. وقد واصلت الأمم المتحدة الاحتفال بهذا اليوم العالمي بشكل سنوي خلال العشرية من 1990-1999.

كما أعلنت العشرية أو العقد 1990-1999 العقد الدولي للحد من الكوارث الطبيعية.

وفي عام 2001 قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة الإبقاء على الاحتفال بهذا اليوم في يوم الأربعاء الثاني من شهر أكتوبر (القرار رقم 195/56 ، بتاريخ 21 ديسمبر)، وذلك من أجل تعزيز ثقافة الحد من الكوارث الطبيعية على المستوى الدولي بما في ذلك منع الكوارث والتخفيف منها والتأهب لها.

وقد جاء موضوع اليوم الدولي للحد من الكوارث هذا العام 2004 وهو " التعلم من كوارث اليوم لمواجهة أخطار الغد"، ليذكرنا بأن مهمة التعلم من الكوارث تهمنا جميعا.

تتكون ثقافة أي مجتمع من العلاقات والتنظيمات الاجتماعية والاعتقادات والعادات السلوكية والتي تنتقل من جيل إلى جيل وتحدد التحديات و المشكلات التي يجابهها هذا المجتمع وطرق مجابهته لها، وتتضمن هذه التحديات مشكلات البقاء والمتطلبات التي تنبع من التاريخ الفريد لكل مجتمع وجغرافيته وغير ذلك من المظاهر البيئية كالموارد الطبيعية والمناخ وخصائص المجتمعات المجاورة. وتنتقل الثقافة وتستمر عن طريق التنشئة والتعليم والضغوط الاجتماعية ويعتمد الإنسان على ثقافته لكي يكون لديه نظرة متكاملة وأسلوب معين نحو الحياة ويتقبل متطلبات ثقافية على أنها الشيء العادي والمقبول، ويؤدي ذلك إلى اشتراك أبناء الثقافة الواحدة في نظرتهم نحو العالم ومدهم بأسلوب مشترك للتفكير والسلوك.

و تستمر الثقافة للأمن الذي يشعر به أفرادها في المألوف، ويتم انتقالها عن طريق كل مؤسسات المجتمع وتنظيماته مثل الأسرة ومؤسسات التربوية والدينية ووسائل الإعلام والشارع.... ولكن ذلك لا يمنع حدوث التغير الثقافي نتيجة لعدة عوامل أهمها التجديد و الاستعارة الثقافية والتغير التكنولوجي.

1 -تعريف الثقافة:

ويعزى الفضل لتايلور في أنه أول من قدم تعريفا للثقافة وكان ذلك منذ حوالي قرن من الزمان بأنها: " ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والعـــادات وأي قدرات أخرى وعادات اكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع"(سعد جلال ص 92).

يؤخذ على هذا التعريف أنه وإن شمل مجمل الفئات مختلفة التي تتكون منها الثقافـــة إلا أنـــه تعريف وصفي يتجاهل عنصر التكامل بين هذه الفئات التي تتداخل مكونة نسيجا واحدا تتكـــون منـــه النظم الاجتماعية المختلفة.

وجاء تعريف لرالف لنتون Ralph Linton سنة 1945 يسد النقص في التعريـــف الســـابق بتأكيد التكامل والتعلم، إذ يعرف الثقافة " بأنها الشكل العام للسلوك المتعلم، ونتاج هـــذا الســـلوك ... يتناقله أعضاء مجتمع بعينه". وعملية النقل في هذا التعريـــف تـــدل علـــى أهميـــة اتصـــال الثقافـــة واستمرارها على مر الزمن.

فالثقافة في الواقع متعملة، وثقافات العالم ما هي إلا أنسقة من العادات الجماعية، أما الفـــروق التي نلاحظها بينها فهي نتاج لتراكمات التعلم الجماعي تحت ظروف جغرافية واجتماعية مختلفة. إن كان من الصعب الإجابة على كيف تتكون الثقافة إلا أنه من الممكن القول أن كثيرا من العادات لهـــا قيمتها الوظيفية في إشباع حاجات أعضاء المجتمع.

والثقافة ينقلها الآباء للأبناء ولذلك يعرفها البعض بأنها انتقال سبل التكيف مـــع البيئـــة التـــي توصل إليها الآباء والأجداد للأبناء، إذ تنتقل الثقافة من جيل إلى جيل عن طريق النظم الاجتماعية في المجتمع كالأسرة والمدرسة التي تؤثر في الطفل في سن مبكرة، لذا يصبح من الصعب تعديل الأنماط الثقافية للسلوك.

2-مظاهر الثقافة:

ونلاحظ من تعريف الثقاقة أنها بشكل أو بآخر تؤكد تداخل مظاهر ثلاثة هي: التقاليد والرمزية والتكامل.

2-1-التقاليد:

وتعني التقاليد استمرار الثقافة من ناحية أنها تمد الفرد بما يوجهه في تصرفاته إزاء متطلبات الحياة الإنسانية في حالات الولادة والوفاة مثلا والعلاقات بين الأقرباء... فبهذا الشكل تقــوم الثقافــة بإملاء تنظيم المجتمع والعلاقات الاجتماعية في اتجاهات تستمر دون وعي من الناس، كما تمد الفرد بإجابة جاهزة للتصرف في كثير من المواقف بردود تكون مألوفة ومما اعتاد عليها الناس في ثقافتهم.

2-2-الرمزية:

ويعتبر استخدام الرموز من أهم ما يتميز به الإنسان على الحيوان، وتبــين الرمزيـــة أهميـــة الخبرة غير المادية وكذلك أهمية انتقال الأفكار والمعلومات دون الوجود المباشر للأشياء ذاتها، واللغة بطبيعة الحال هي أوضح تعبير عن الرمزية وعن وجود هذه الخاصية في الإنسان فإن جزءا هاما من تأثير الثقافة يوجد في آثارنا النفسي.

2-3-التكامل:

إن تكامل الثقافة لا يمكن فصله عن التقاليد أو عن الرمزية لأنه يتوقف علـــى كليهمـــا، فكـــل المجتمعات فيها نظم اجتماعية مثل الأسرة والحومة ونظام التعليم ونظام اقتصادي، وهـــذا هـــو لـــب التكامل الاجتماعي والتغير الذي يطرأ على واحد منها يؤثر في الآخرين.

3- المظاهر النفسية للثقافة:

يمكن تصنيف المظاهر النفسية للثقافة تحت القيم و الإدراك والتوقعات الاجتماعية في شـكل مكانات وأدوار و سلوكيات، ويعتمد المجتمع على الاتفاق العام الذي يسود بين أبنائه على ما هو حتمي ويتمثل ذلك في القيم ولكل ثقافة نسق للقيم تتميز به عن ثقافة أخرى. ويتوقف الإدراك على البروز الوظيفي والمألوفية ونظم الاتصال ليكونا معا أسسا للتوقعات الاجتماعية.

3-1-نسق القيم :

توجد في أي مجتمع من المجتمعات البشرية قيم متوارثة تم الاحتفاظ بها على مر العصور كجزء من الثقافة الضمنية، ويؤدي تشرب الأفراد لهذه القيم أنها تصبح دوافع في تكوينهم النفسي تشكل سلوكهم، وتحدد هذه القيم قواعد السلوك، ويتفاوت الناس فيما بينهم في تمسكهم بهذه القيم في حياتهم.

و من أهم مظاهر القيم أنها رمزية فهي توجه السلوك كما يفسر السلوك في ضوئها. كما انه من المستحيل أن يحتفظ أي مجتمع بتماسكه واستمراره ما لم يشترك أعضاؤه في قيم معنية تسود بينهم.

وبالرغم من أن القيم في المجتمع الواحد قد تتعارض، وأن كثيرا من الأفراد لن يعدوا تمسكهم بالقيم، فإن هذا لن يغير من حقيقة أن القيم لها وظيفتها التوجيهية في الثقافة.

3-2-الإدراك:

تمت في الأربعينات عدة دراسات لبيان أثر الثقافة الفرعية على الإدراك من بينها دراسة برونز وجودمان سنة Brunner & Goodman 1947: إذ طلبا من مجموعة من الأطفال من أبناء عائلات فقيرة توسيع أو تضييق ثقب مستدير حتى يصبح الثقب مساويا لحجم قطع من النقود، كما

طلبا من أطفال من أبناء عائلات ثرية القيام بنفس العملية، فتبين أن أبناء الفقراء أعطوا للنقود أحجاما أكبر من قيمتها نتيجة لحرمانهم منها وعدم مألوفيتها لهم. فإدراكنا لما يحيط بنا عرضة لما هو مألوف في الثقافة وغير مألوف في ثقافة أخرى.

3-3-المعايير والتوقعات الاجتماعية:

إن الطفل يتعرض بحكم نموه في ثقافته لنماذج مناسبة، وهو بذلك يتعلم ما يتوقعه الآخـــرون منه وما يتوقع منهم. وهذه التوقعات هي الأساس فيما يسمى بالمعايير الاجتماعية والأدوار والمكانات الاجتماعية. فكل فرد يسلك في حدود المعايير الاجتماعية التي تمليها الثقافة.

وبما إن للثقافة مصادر تنتقل من خلالها من جيل إلى جيل وهي في ذات الوقت نتـــاج هـــذه الثقافة، أهمها المصادر اللغوية مثل المصادر الدينية و الأســـاطير والحكايـــات والقصـــص الشـــعبي والأمثال الشعبية إلخ... ولمقاربة تصور الكوارث الطبيعية في الثقافة الجزائرية فقد اخترنـــا اعتمـــاد ثلاثة مصادر مهمة من مصادر الثقافة الجزائرية حول الكارثة الطبيعية ومحاولة تحليل محتوى نماذج منها وهي المصادر الدينية (بعض آيات القرآن الكريم) التي جاء فيهـــا ذكـــر الكـــوارث الطبيعيـــة والأسطورة أو الخرافة الشعبية والإشاعة التي تدور أحداثها حول الكوارث الطبيعية. و قد تم اختيارنا لهذه المصادر كونها تحتوي على معلومات و معارف تقابل المعرفة العلمية والتي هي عنصر أساسي في دراستنا، وذلك بسبب أن المعارف الدينية تعتمد على الغيب بينما ترفضه المعرفة العلمية و تعتمد على التجربة والقياس وكذلك تعتمد الأساطير والإشاعات على المعرف الساذجة ومحـــاولات تفســـير غير علمية.

4- الكوارث الطبيعية في المصادر الدينية

إن التجربة الدينية تجربة إنسانية عالمية، فلم يوجد شعب يخلــو تراثــه مــن الأدب الــديني. ويعتبر الاعتقاد الديني و العاطفة الدينية من المسائل التي يتعامل معها الغالبية من الناس كمسلمات في الحياة، مما يجعل من الدين مكونا مهما لثقافة أي مجتمع و مشكلا أساسيا للتصورات الاجتماعية لأنه يشكل مصدرا من أهم مصادر المعلومات و بناء المعرفة كما أنه يشكل جزءا مهما إن لم يكن الأساس في نسق أو نظام القيم لأي مجتمع بما يشكله من محرمات أو طابوهات أو مباحات، كما انه يحدد في غالب الأحيان علاقة الفرد بنفسه ومحيطه و بالحياة نفسها وكذلك علاقة الأفراد فيما بينهم، كما يمكن له أن يحدد الأدوار والمكانات داخل المجتمع ويشكل التوقعات و الانتظارات.

ممــــا جعــــل بعض الباحثين يقول بوجود **الغريزة الدينيـــة L'instinct religieux** (عبد المنعم الحفني ص74)، حيث تعتبر هذه الغريزة الفيصل بين المستويين من الوجــود الإنســـاني والحيواني، و أنه كلما ارتقى الإنسان وجدانيا كلما كانت له إشراقات أو فيوضات صوفية كونية، قــد تعبر عن نفسها تعبيرا دينينا صريحا، أو تكون اهتماما أو "هما" بالوجود و بقضايا الإنسان الوجودية.

و المجتمع الجزائري كسائر المجتمعات التي تدين غالبتها بالدين الإسلامي يجعل من الإســـلام مصدرا هاما للمعرفة وموجها أساسيا للسلوك ومحددا للتوقعات و مسيرا للعلاقات، وإن كان في كثير من الأحيان يصعب الفصل بين ما هو ديني خالص وما هو موروث ثقافي اجتمـــاعي مثـــل التقاليـــد والأعراف الاجتماعية التي قد تكون أحيانا معارضة للنص الديني نفسه.

و بما أن القرآن الكريم هو أهم مصدر للشريعة الإسلامية فلقد ارتأينا سرد بعض نماذج مـــن ذكر القرآن الكريم للكوارث الطبيعية وكيف جاء تقديمها في بعض الآيات الكريمة.

4-1- ذكر الكوارث الطبيعية في القرآن الكريم بصيغة التحذير

جاء ذكر الكوارث الطبيعية في آيات قرآنية كثيرة تحذر الناس من معصـــية الله ومخالفـــة تعاليمه وأوامره ونواهيه

- كما جاء في سورة الإسراء (68 – 69)

(أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (68) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (69))

- وفى سورة الملك (16 – 17)

(أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (16) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّـمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ)

- كما جاء في سورة العنكبوت (40):

(فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)

في هذه الآيات يوضح السرد القرآني بشكل عام دون تخصيص للأمم التي ارتكبـت الـذنوب والمعاصي العلاقة بين معصية الله عز وجل ووقوع العقاب على العصاة في شكل كوارث طبيعية:

منهم من قضى عليه بـــ " الحاصب " الذي يتوضح معناه من آيـات القـرآن انـه الـريح العاصف المهلك الذي يعصف بكل شنئ ويصحبه الحصى الصغيرة.

ومنهم من قضى عليه بـــ " الصيحة " وهى الزلازل وما يصاحبها من أصوات مخيفـــة مثـــل أصوات الرعد والبرق.

ومنهم من قضى عليه بأن خسف بهم الأرض مثل قارون، ومنهم من أغـــرقهم عـــن طريـــق الطوفان أو الفيضان كما في حادثة نوح، أو إغراقهم في البحر كما في حادثة فرعون وجنوده.

4-2- ذكر **الكوارث الطبيعية في القرآن الكريم على شكل عقاب إلهي**

لقد قدم القرآن الكريم هلاك المدن القديمة وشعوبها على شكل قصص منها ما تكرر أكثر من مرة مثل هلاك قوم عاد وقوم ثمود وقوم سيدنا نوح وقوم سيدنا لوط وفي كل هذه القصص تكون الكارثة الطبيعية هي العقاب العادل من الله اتجاه أقوام عصوا الله وأشركوا به و كذبوا أنبيائه وعاثوا في الأرض فسادا...ونذكر نماذج من هذه القصص.

4-2-1- قصة قوم عاد

هم شعب سامى أقام مدينته وحضارته في بلاد العرب القديمة قبل الإسلام بمئـــات الســـنين، ولقد اندثرت مدينتهم وحضارتهم. جاء في القرآن عن هذه المدينة و شعبها في سورة الأعراف (69)

(أَوَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْـــدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)

و في قول الله عز وجل في القرآن الكريم" وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً " أي أنهم كـــانوا مـــن عمالقة الأجسام، فما الذي حدث لهؤلاء الجبابرة والعمالقة ؟ وكيف انقرضوا أو أبيدوا ؟ ولماذا ؟ وما هي الأسباب ؟

وجاء في القرآن الكريم أجوبة هذه الأسئلة :

- في سورة فصلت (15 – 16)

(فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآَيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (15) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ (16))

- و في سورة الأحقاف (21-25)

(وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (21) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آَلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (22) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (23) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (24) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (25))

- و في سورة الذاريات (42-41)

(وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (41) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ(42))

- و في سورة الحاقة (6-8)

(وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (7) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (8))

- وفي سورة الشعراء(139)

(فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (139))

- و في سورة القمر(18-20)

(كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (18) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (19) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (20))

ومن كل هذه الآيات نستخلص ما يلي:

1 -سبب هلاك عاد هو أن أهلها كذبوا الله بتكذيب نبيه الذي أرسله لهم، كما أنهم كانوا من المذنبين الذين عاثوا في الأرض فسادا.

2-طريقة الهلاك: الرياح والأعاصير والعواصف أي نوع من الكوارث الطبيعية.

وبعد جمع كل هذه الصفات المذكورة في الآيات فان الريح التي دمرت عاد بحسب ما جاء في القرآن الكريم هي: ريح صرصر، عاتية، عقيم، مهلكة، مدمرة، معذبة. ومعنى " صرصر " كما جاء بكتب التفسير: " أي باردة شديدة البرودة وكانت ذات صوت مزعج ... وقال بعضهم وهى الشديدة الهبوب، وقيل الباردة، وقيل هي التي لها صوت، والحق أنها متصفة بجميع ذلك"(تفسير إبن كثير ج 4 ص 97). مما يوضح أنها لبست ريح عادية بل لها صفات تتوافق مع صفات الأعاصير.

4-2-2- هلاك مدينة ثمود وشعبها

وفي قصص القرآن الكريم يرد ذكر مدينة أو حضارة أخرى قديمة لم يبق منها في عهد البعثة إلا الأطلال والذكريات وهي قوم ثمود.

وقد قدم القرآن الكريم تفسيرا لهلاك هذه المدينة وأهلها حيث يروى القرآن أن قوم ثمود كانوا من الطغاة فأرسل الله لهم رسولا اسمه صالح ليعظهم ولينذرهم ويحذرهم من غضب الإله، فما

التفتوا إليه، وتحديا منهم طلبوا منه أن يخلق ربه لهم من الحجر ناقة، فاستجاب لهم الله واخرج لهم ناقة من الحجر وأمرهم أن لا يمسوها بأذى و أن يقسموا المياه بينها وبينهم، فتشرب الناقة يوم ويشربون هم وأنعامهم يوم. و سارت الأمور على ما يرام مدة من الزمان إلى أن قام قوم ثمود بعقر الناقة، أي قتلها وهنا غضب الله عليهم وأهلكهم.

ولقد جاء ذكرها في القرآن الكريم في الآيات التالية:

- سورة القمر(23-31)

(كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (23) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (24) أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (25) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ (26) إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (27) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (28) فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (29) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (30) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (31))

- وفي سورة الأعراف (73-79)

(وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (74) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (75) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (76) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ

ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (77) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (7 فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (79))

- أما في سورة الحاقة(4-5)

(كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (4) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (5))

- و كذلك في سورة فصلت (17-18)

(وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (17) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (18))

- وفي سورة الذاريات

(وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ (43) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (44) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ (45))

ونلاحظ من الآيات المتعددة لنفس الحادثة اختلاف سبب العقاب الالهى، فهناك آيات ترجع السبب إلى معصيتهم لله دون إشارة إلى " ناقة الله وعقرها " وآيات ترجع سبب العقاب صراحة إلى عقر الناقة. و أيا كان الأسباب فإن الثابت هو زلزال هائل قضى على مدينة ثمود، بعد أن فسد أهلها وكفروا بتعاليم الله وأوامره.

4-2-3- هلاك قوم لوط (سدوم وعمورة)

عرف قوم لوط بأنهم أول قوم انتشرت بين رجالهم العلاقات الجنسية المثلية، حيث كانوا يعاشرون الرجال ويرغبون عن النساء. حتى أن لفظ لواط أصبح يدل على الممارسة نفسها ولواطي أو من قوم لوط يطلق على كل من يتصف بهذه الصفة في أي زمان ومكان.

وقد جاء ذكر قصتهم في الكتب السماوية و في الأساطير المنتقلة عبر الأجيال مفادها أنهم غيروا فطرة الله في العلاقات الجنسية فحاول سيدنا لوط أن يعظهم و يحذرهم من عاقبة أعمالهم إلا أنهم لم يستجيبوا له، فغضب الله عليهم فأهلك المدينة وأهلها بعد أن أنقذ سيدنا لوط ومن آمن معه.

أولا – قوم لوط كما جاء ذكرهم في القرآن الكريم في الآيات التالية:

- سورة الأعراف (80-84)

(وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (80) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (81) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (82) فأنجبناه وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (83) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (84))

- سورة هود(77-83)

(وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (77) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (7 قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (79) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (80) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا

إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (81) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (82) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (83))

- سورة القمر(33-34)

(كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (33) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (34))

من كل ما سبق من المشاهد القرآنية يثبت ما يلي:

1-أن فاحشة اللواط انتشرت في قوم لوط ولم تعد مسألة شذوذ أفراد بل صبغة مجتمع لدرجة أنهم جاءوا سيدنا لوط يريدون ممارسة الجنس مع ضيوفه، وهم ملائكة في شكل رجال.

2-أن سيدنا لوط قد حاورهم وحاول ردهم عن المعصية بكل الوسائل لدرجة انه عرض عليهم بناته: (قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي)، لكن قومه أصروا على المعصية: "قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ"

3-أن الله عاقبهم بالحاصب في آية وبالمطر في آية أخرى وبأن جعل عليها سافلها وأمطرهم حجارة ويقول سيد قطب في هذا: " هي صورة للتدمير الكامل...هي أشبه شيء ببعض الظواهر البركانية التي تخسف فيها الأرض فتبتلع ما فوقها ويصاحب ذلك حمم وحجارة ووحل "(سيد قطب المجلد الرابع، ص608).

لم ينفرد القرآن الكريم بذكر قصة قوم سيدنا لوط بل ذكرت أيضا في التوراة وكذلك دلت على أحداثها التاريخية البحوث العلمية.

ثانيا -قصة قوم لوط في التوراة

قدمت التوراة تفسيرا لهلاك منطقة " ارض دائرة الأردن" (فراس السواح ص 206) التي كان يعيش فيها –حسب التوراة- لوط ابن أخى إبراخيم-

فقالت أن يهوه (الله بلغة التوراة) أهلكها وأبادها بان أنزل عليها نارا وكبريتا مـن السـماء فهلكت جميع مظاهر الحياة هناك، وأرجعت التوراة سبب ذلك إلى فساد أهلها حيث انتشـر اللـواط بينهم.

- في تكوين 13

12 إبرام سكن في ارض كنعان و لوط سكن في مدن الدائرة و نقل خيامه إلى سدوم

13 و كان أهل سدوم أشرارا و خطاة لدى الرب جدا

- وفي تكوين 18

20 و قال الرب أن صراخ سدوم و عمورة قد كثر و خطيتهم قد عظمت جدا

21 انزل و أرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الأتي إلي

- أما تكوين 19

1 فجاء الملاكان إلى سدوم مساء و كان لوط جالسا في باب سدوم فلمـا رآهمـا لـوط قـام لاستقبالهما و سجد بوجهه إلى الأرض

2 و قال يا سيدي ميلا إلى بيت عبدكما و بيتا و اغسلا أرجلكما ثم تبكـران و تـذهبان فـي طريقكما فقالا لا بل في الساحة نبيت

3 فالح عليهما جدا فمالا إليه و دخلا بيته فصنع لهما ضيافة و خبز فطيرا فأكلا

4 و قبلما اضطجعا أحاط بالبيت رجال المدينة رجال سدوم من الحدث إلى الشيخ كل الشـــعب من أقصاها

5 فنادوا لوطا و قالوا له أين الرجلان اللذان دخلا إليك الليلة أخرجهما إلينا لنعرفهما

6 فخرج إليهم لوط إلى الباب و أغلق الباب وراءه

7 و قال لا تفعلوا شرا يا إخوتي

8 هوذا لي ابنتان لم تعرفا رجلا أخرجهما إليكم فافعلوا بهما كما يحسن في عيونكم و أما هذان الرجلان فلا تفعلوا بهما شيئا لانهما قد دخلا تحت ظل سقفي

9 فقالوا ابعد إلى هناك ثم قالوا جاء هذا الإنسان ليتغرب و هو يحكم حكما الآن نفعل بك شرا أكثر منهما فالحوا على الرجل لوط جدا و تقدموا ليكسروا الباب

10 فمد الرجلان أيديهما و ادخلا لوطا اليهما إلى البيت وأغلقا الباب

11 و أما الرجال الذين على باب البيت فضرباهم بالعمى من الصغير إلى الكبير فعجزوا عن أن يجدوا الباب

12 و قال الرجلان للوط من لك غيضا ههنا أصهارك و بنيك و بناتك و كل مـــن لـــك فـــي المدينة اخرج من المكان

13 لأننا مهلكان هذا المكان إذ قد عظم صراخهم أمام الرب فأرسلنا الرب لنهلكه

14 فخرج لوط و كلم أصهاره الآخذين بناته و قال قوموا اخرجوا من هذا المكان

لان الرب مهلك المدينة فكان كمازح في أعين أصهاره

15 و لما طلع الفجر كان الملاكان يعجلان لوطا قائلين قم خذ امرأتك و ابنتيك الموجـــودتين لئلا تهلك بإثم المدينة

16 و لما توانى امسك الرجلان بيده و بيد امرأته و بيد ابنتيه لشفقة الرب عليـه و أخرجـاه ووضعاه خارج المدينة

17 و كان لما أخرجاهم إلى خارج انه قال اهرب لحياتك لا تنظر إلى ورائك و لا تقف فـي كل الدائرة اهرب إلى الجبل لئلا تهلك

18 فقال لهما لوط لا يا سيد

19 هوذا عبدك قد وجد نعمة في عينيك و عظمت لطفك الذي صنعت إلي باستبقاء نفسي و أنا لا اقدر أن اهرب إلى الجبل لعل الشر يدركني فأموت

20 هوذا المدينة هذه قريبة للهرب اليها و هي صغيرة اهرب إلى هناك أليست هي صـغيرة فتحيا نفسي

21 فقال له إني قد رفعت وجهك في هذا الآمر أيضا أن لا اقلب المدينة التي تكلمت عنها

22 أسرع اهرب إلى هناك لأني لا أستطيع أن افعل شيئا حتى تجيء إلى هناك لذلك دعي اسم المدينة صوغر

23 و اذ أشرقت الشمس على الأرض دخل لوط إلى صوغر

24 فأمطر الرب على سدوم و عمورة كبريتا و نارا من عند الرب من السماء

25 و قلب تلك المدن و كل الدائرة و جميع سكان المدن و نبات الأرض

26 و نظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح

ثالثا-قصة مدينة لوط في البحوث التاريخية

وعن حقيقة ما حدث لمدينة سدوم وعمورة (مدينة قوم لوط بتعبيـــر القـــرآن): " دلـــت الكشـــوف والبحوث التاريخية على أن الأقاليم المجاورة للبحر الميت – اى أرض دائرة الأردن – كانت عامرة آهلة بالسكان إلى حوالى سنة 2000 (ألفين) قبل الميلاد. وبعد ذلك وقعت كارثة مروعة وصـــفها بعضهم بأنها شبيهة بانقلاب بركاني أو بانفجار ذريع بجوف الأرض اندلعت منه نيران ولهب ارتفعت فى الجو ثم نزلت على الناس نزول المطر، ونتيجة لذلك خربت تلك البقاع وبقيت بلقعا خاليا خاويـــا مدة قرون عديدة "(فراس السواح ص 211)

إذا ما قارننا قصة هلاك قوم لوط في القرآن الكريم و كذلك نفس القصة في التوراة نـــرى أن هناك تطابقا شبه كامل بينهما، ثم يأتي الوصف التاريخي لما حدث لمدينة ســـدوم وعمـــورة مشـــابها لوصف التوراة ثم جاء في القرآن الكريم بعد ذلك.مما يجعل من هذه القصة تراثا تاريخيـــا عالميـــا يكرّس فكرة العقاب الإلهي للعصاة والظالمين عبر الظواهر الكونية الخارقة كالكوارث الطبيعية مثـــل الانفجار البركاني الذي أصاب سكان مدينتي سدوم وعمورة لأنهم خالفوا أوامر الله.

5-الكارثة الطبيعية في الأسطورة الجزائرية

لقد كانت مسألة خلق العالم و نشأته و بدايته و أصل الأشياء و الحياة الإنسانية مـــن أول المسائل التي شغلت العقل البشرى وكذلك بالنسبة للموت والفناء ونهاية العالم، فكل شعب من الشعوب الإنسانية لديه أساطير عن الخلق و التكوين و أصل الأشياء ونهايتها، وفي مختلف الثقافات وعبر كل الحضارات توجد تفاسيرحول "كيف نشأت الأشياء و الكائنات وإلى أين تؤول".

و على العموم يكشف معظم الأساطير عن موقف الرجل (البدائي) من العالم الخارجي و رؤيته و محاولته فهم العالم و تفسير ظواهره.

و الأمر الذي يثير الانتباه أن الأسطورة الواحدة منتشرة في مجتمعات مختلفة فـــي أنحـــاء مختلفة في القارات جميعها.. و لا تزال الشعوب الحديثة تحتفظ ببعض عناصر من هذه الأساطير التي تظهر في حكايات و قصص الأطفال، على الرغم من اعتبارها جزءا من الفكر الخرافي غير العلمي، فقد صارت الأسطورة حكاية مسيلة.

5-1-تعريف الأسطورة وأنواعها

فالأسطورة أداة للمعرفة و الكشف و الفهم ... و التوصل إلى الحقائق و وضع نظام مفهـــوم ومعقول للوجود يقنع به الإنسان و يجيد مكانه الحقيق ضمنه و دوره الفعال فيه. إنها الإطار الأســـبق والأداة الأقدم لتفكير الإنساني المبدع الخلاق) و من ثم فهي تتيح للفرد أن يكتسب المنظور الشـــامل المعـــرفي الجماعي. و هكذا يتوضح أن العلاقة بين الأسطورة و التصورات الاجتماعية وثيقة للغاية إذ تعبر الأساطير عن التصورات الاجتماعية.

و الأسطورة هي قصة تحكى عن القوى الخارقة أو الآلهة و الأبطال و أشباه الآلهـــة، كمـــا يحكى معظمها عن النشأة الأولى للأشياء و كيفية تكوينها على ما هي عليه. و تشير بطريقة مباشـــرة أو غير مباشرة إلى الميلاد و التزاوج و الإنجاب و المرض و الموت. و كثيرا ما تكون الأفعال التي ترويها الأساطير خيالية غير حقيقية خارقة للطبيعة و لا أخلاقية و لا منطقية. تكثر فيها الانتهاكـــات للقواعد الأخلاقية و عدم الالتزام بالقواعد و المبادئ و التشريعات، فكل ما فيها من أفعال مباح.

و الأساطيرعدة أنواع منها الأساطير الطبيعة، و أساطير الحيوانات و أساطير النباتات و كلها تعبر عن مظاهر الطبيعة و حيوانات و نباتات معينة ككائنات تنطوي على الحياة و ترتبط حركاتهـــا بقوى غيبية لها القدرة على فعل كل شيء و تتدخل في حياة الجماعة مما يدل على ارتباطها بـــالواقع

الاجتماعي و الثقافي و النفسي للجماعات الإنسانية. و هناك أيضا الأساطير الدينية التي تدور حول أصل الإنسان و نشأته و ظهوره على سطح الكرة الأرضية و الجد الأول الذي ينتسب إليه. و أخيرا أساطير الموت و الحياة و تدور حول الاعتقاد في روح هي علة الحياة و هي قادرة على الانفصال عن الجسم دون أن يؤدي إلى الموت.

تختلف الأسطورة عن الحكاية الشعبية، فالأخيرة خرافة لا تحمل طابع القداسة. و لا تلعب الآلهة أدوارها، و لا تتطرق إلى الموضوعات التي تتناولها الأسطورة، و إنما تقتصر على حدود الحياة اليومية و الأمور الدنيوية العادية كمكر النساء و مكائد زوجات الرجل و قسوة زوجة الأب وغير ذلك. وقد تلعب الحكاية الشعبية دورا ثقافيا شبيها بدور الأسطورة و الحكم و الأمثال الشعبية ولكنها تفتقد قوة الأسطورة التابعة من جانبها الاعتقادي.

و لقد صارت الأساطير في نظر إنسان العصر الحديث حكايات خرافية، تخرج كلية عن المنطق و التفكير العلمى الموضوعي، و لا تتعدى كونها مثيرا لإبداعات في مجالات فنية متعددة ومع ذلك فالأسطورة تحيى بين أفراد المجتمع الذي ينكر صدق وقائعها. فهي تختفي وراء بناء مجتمعهم وتنظيمهم الاجتماعي، فهي تنتقل في ضميره الجمعى.

و لهذا شغلت الأسطورة التفكير الاجتماعي و الانثربولوجي و النفسي و غيرهم من مجالات المعرفة في محاولة فهم الإنسان و سلوكه و آليات تفكيره و عواطفه و دوافعه كما ذكر من قبل، فظهرت عدة اتجاهات في تفسيرها.

و لا يهم التحقق التاريخي من صدق الأساطير، و لا يمكن تحقيقه مطلقا لانتقالها عن طريق القص من جيل إلى جيل لأن الأسطورة هي ظاهرة ثقافية اجتماعية فهي صادقة صدقا اجتماعيا وهكذا يتحتم النظر إليها بغض النظر عن كونها نتاج التفكير الخرافي غير العلمى أو أنها حكايات خرافية.

2-5- الاتجاهات النظرية في تفسير الأسطورة:

لقد ظهر منذ نهاية القرن التاسع عشر عدد من النظريات التي تحاول تفسير الأسطورة و بيان دلالاتها و بواعثها و وظيفتها الاجتماعية. و يمكن حصرها بإيجاز فيما يلي:

أولا: فقد رأى البعض أصحاب " المدرسة الطبيعية الرمزية " أن الظواهر الطبيعية، القمر والشمس مثلا: هي مصدر هذه الأساطير و أصولها. و حتى و لو لم تكن ترتكز على الظواهر الطبيعية فهي تتصل بها بطريقة ما لتعبر عنها، و من ثم تتضمن الأساطير الرموز عن هذه الظواهر. فالأسطورة على وجه العموم تقدم الأسباب الكامنة وراء كثير من هذه الظواهر، و ذلك لان الأسطورة قد وجدت لكى تفسرها تفسيرا طبيعيا.

ثانيا: رأى البعض الأخر أصحاب " المدرسة التاريخية" أن الأسطورة ليست نتائج الخيال، وإنما هي ترجمة و تسجيلا تاريخيا حقيقيا، أو حسب تعبير مالينوفسكى " حولية تاريخية ". و قد لجأ إليها الإنسان ليسجل وقائع قد حدثت بالفعل في زمن لم يكن قد عرف فيه الكتابة. و قد دخل عليها بعض عناصر الخيال، فأخذت طابع القصص مما ساعد على حفظها. و يستند أصحاب هذا التفسير التاريخي للأساطير إلى عمومية بعضها و انتشارها و تشابهها لدى كثير من الشعوب مثل أساطير الطوفان أو الدمار الشامل بالنار السماوية أو الأعاصير. فإن لعمومية بعض الأساطير تشابهها دلالة على التجارب المشتركة.

ثالثا: المدرسة الأخلاقية التي تفسر الأساطير باعتبارها مجرد تعبيرات رمزية تهدف إلى رفع الحس الأخلاقي من خلال النصائح و الإرشادات، و ترمى إلى الحث على مكارم الأخلاق. و في هذا المدرسة لا يميز أصحابها بين الأسطورة و القصص الخرافية.

رابعا: الأسطورة في مدرسة التحليل النفسي يرى سيجموند فرويد S. Freud في كتابه «تفسير الأحلام" أن الأسطورة حقيقة نفسية. و يقول فرويد بوجود تشابه بين الأسطورة و الحلم من حيث آليتهما و رموزهما فهما نتاج العمليات النفسية اللاشعورية، وفي الأسطورة كما هو الحال في الحلم تقع الأحداث حرة خارج قيود و حدود الزمان و المكان.

5-3- نماذج من الأساطير الجزائرية:

كما لا يخلو تراث المجتمع أو حضارة من الأساطير والخرافات التي تنتقل من خلالها ثقافة هذا المجتمع خارج قيود الزمان والمكان، انتقلت الأساطير والحكايات الشعبية من جيل إلى جيل من المجتمع الجزائري.

5-3 –1- أسطورة حمام المسخوطين:

في المنطقة الموجود بها الحمام اليوم أي بلدية حمام الدباغ ولاية قالمة والذي تعرف بالعامية **بحمام المسخوطين**، كانت توجد قديما مملكة أو سلطنة وكان سلطانها شابا في مقتبل العمر وكان في رحلة بحث عن زوجة تليق بمقامه وتصلح أن تكون ملكة على البلاد. وكعادة السلاطين لم تعجبه أي امرأة ممن عرضن عليه من بنات الوزراء والوجهاء وأمراء وملوك الممالك الأخرى، فأصبح الأمر

مقلقا لكل من في المملكة من الحاشية أو الرعية خصوصا أن السلطان أصيب بحالة اكتئاب وحزن شديد.

و ذات مرة كان السلطان في رحلة صيد يروح عن نفسه مع كبير وزرائه ووفد من حاشيته عثر في الحقول على شعرة طويلة جدا شديدة السواد. و حينما رآها ولمسها أثارت إعجابه وتساءل عن صاحبتها من تكون ؟ وكيف هي؟ ما هو شكلها ؟ هل هي جميلة بقدر ما توحي به شعرتها ؟ هل هي من المملكة أم لا ... أسئلة عديدة دارت في ذهن السلطان جعلته يحتفظ بتلك الشعرة وجعلت صاحبتها تسيطر على كل أفكاره، فقطع نزهته فجأة دون أن يعي من رافقوه سبب هذا التغيير الطارئ على الرحلة. ولم يتمكن في ذلك اليوم من الابتعاد عن هذه الفكرة مما جعله شارد الذهن فاتر العزيمة طيلة اليوم، وفي آخر النهار لم يتمكن من الخلود للنوم، وقبل الفجر بقليل قرر أن يفضي لكبير وزرائه بانشغاله بصاحبة هذه الشعرة فأرسل في طلبه على الفور.

دهش كبير الوزراء حينما وجد السلطان يخبره قائلا: " أريد أن أتزوج صاحبة هذه الشعرة، مهما كلفني ذلك "، واستطرد قائلا " إفعل أي شيء لكي تجدها لي "، فرح كبير الوزراء فرحا شديدا لاستقرار الملك على اختيار زوجة المستقبل وملكة العرش ولكنه احتار كيف سيعرف من هي، وأين أهلها وأين سيجدها. وبعد تفكير عميق وتقليب الأمر على جميع وجوهه قرر عقد اجتماع الوزراء والأعيان لتباحث الأمر، وبعد المشاورات استقروا على طلب الاستشارة من حكيم المملكة " الدبار" كما كان يسمى قديما ، وهو رجل تقصده العامة والخاصة عند اشتداد الأمور ، وصعوبة اتخاذ القرارات فيرشدهم لما فيه خيرهم وصلاح معادهم ، وكانت إرشاداته وتوجيهاته دائما غريبة وغير متوقعة وتعمل في صالح قاصديه .

فطلب منهم الدبار أن يمهلوه ثلاثة أيام بلياليهن، ليبحث في الأمر ويصل إلى الحل، وبعد انتهاء المدة أشار عليهم بأن يبعثوا بالعجوز المسنة العارفة صاحبة المكائد المحكمة الملقبة بـ: "عزوزة الستوت" لتدخل كل بيوت المملكة بيتا بيتا دون استثناء حتى بيوت الحاشية لتقيس الشعرة على شعر كل بنات المملكة سرا حتى تجد الفتاة المطلوبة.

وفعلا قامت "عزوزة الستوت " بما طلب منها لمدة أيام طويلة ولكنها لم تجد الفتاة المطلوبة، وكانت كل يوم تعود مساءًا إلى قصر السلطان لتخبر كبير الوزراء بما حصل في ذلك اليوم مما جعل اليأس يتسرب إلى نفس السلطان.

و ذات مرة التقت بفتاة جميلة في حديقة القصر فتحايلت عليها بخبث ودهاء وحنكتها المعروفة على عزوزة الستوت لترى شعرها. ففوجئت بأن طول الشعرة ولونها وملمسها مطابقا للون وطول وملمس شعر هذه الفتاة ساعتها، أدركت وتأكدت أنها قد وجدت الفتاة التي تبحث عنها منذ أيام، ففرحت فرحا شديدا وأسرعت لتخبر كبير الوزراء الذي لم يتمالك نفسه من الفرح فأسرع في الحين بدوره ليرى الفتاة ويعرف من هي. ولكنه أصيب بالذهول وشعر بالخذلان حين عرف أن الفتاة المعنية بالأمر ليست إلا أخت السلطان وبالتالي فإن أمر زواجه منها مستحيل، فأصابه من ذلك غم كبير وحزن حزنا شديدا، ولم يعرف كيف سيخبر السلطان بهذا الخبر التعيس، غير أنه بعد تردده الطويل، لم يجد بد من إخبار السلطان بحقيقة بالأمر.

حين علم السلطان بالأمر أصابته رجفة شديدة، لم يتمالك فيها نفسه من هول الصاعقة التي سمعها والخبر الذي وصله للتو، فأغشي عليه ساعتها، ولم يفق إلا بعد أن استدعوا طبيبه الخاص، وبقي على هذه الحال يعاني الألم والحزن وتعتريه الكآبة جعلته يلازم الفراش طيلة أربعين يوما.

وفجر اليوم الواحد والأربعين استدعى كبير وزرائه ليخبره أنه لم يغير رأيه وأنه مصر على الزواج من صاحبة تلك الشعرة حتى لو كانت أخته.

ورغم تفاجئ الجميع بقرار السلطان الذي كان منافيا لجميع الأعراف والشرائع السائدة إلا أنه لم يجرأ أحد من الخاصة من الحاشية و الوزراء والأعيان، ناهيك عن عامة الشعب من المملكة أن يعارض إرادة السلطان الذي أمر حالا لإقامة الأفراح والليالي الملاح استعدادا لعرس السلطان الذي سيدوم سبع أيام بلياليهن.

وتم التحضير والإعداد على أشده في كامل أرجاء المملكة ووصلت مواكب الملوك والسلاطين والأشراف والأعيان والوزراء من كل الممالك المجاورة للاحتفال.

و في ليلة العرس وبينما الجميع منغمسون في مأدبة العشاء فرحين مرحين يستمتعون بالطرب والعزف والغناء والرقص، حلتّ عليهم الواقعة ولحقهم غضب الله ولعنته فسخطهم ومسخهم حجارة تنبع منها مياه ساخنة لدرجة الغليان.

وهناك صخرة كبيرة شاهد على وقوع الأسطورة، وتغذيها في أذهان سكان المنطقة تقع على مرتفع قرب الحمامات ببلدية حمام الدباغ ولا ية قالمة يصر العارفين بالأسطورة على أنها مسخ للسلطان وعروسه المحرمة عليه (أخته) وأمامهما مائدة عليها مثرد كسكسي. لذلك سمي الحمام بحمام المسخوطين.

تحليل نص الأسطورة:

تتمحور القصة حول طريقة إدراك وتفسير المجتمع الجزائري للكوارث بشكل عام والكارثة الطبيعية بشكل خاص حيث تختصر في فكرة واحدة وهي أن الكارثة الطبيعية هي غضب وعقاب من الله يقع على الناس الذين يرتكبون المعاصي والكبائر وهذا بهدف الانتقام.

وهذا ما يمكن إبرازه من خلال النقاط التالية:

- أن المعصية كانت كبيرة من الكبائر التي تحرمها كل الشرائع السماوية والقوانين الوضعية والتي تتجسد في جرمية الزنا وبالضبط زنا المحارم.
- أنه لا يشفع لأحد إذا ارتكب الخطيئة حتى لو كان السلطان نفسه. وبالتالي المكانة الاجتماعية والسياسية لاتغير شيئا في وقوع اللعنة والغضب الإلاهي على مرتكب المعصية والجرم.
- أنه لا يبرر الخطيئة أي شيء حتى لو كان الخوف من السلطان. وذلك من خلال وقوع العقاب على الجميع دون استثناء. وأنه لا بد من بذل الجهود لمنع المعصية أو الجريمة، وأن الساكت عن الحق لا يعذر بخوفه.
- أن عقاب الله كان من خلال ظاهرة طبيعية خارقة للعادة لا يمكن للإنسان أن يتفاداها. وبالتالي فإن الكوارث الطبيعية تحقق إرادة الله في الكون، عن طريق عقاب العصاة المعتدين على شرائع الله وقوانينه.وأنها تفوق قدرة الانسان على التحكم فيها أو التنبؤ بها.
- عنصر التوقيت المناسب للعقاب الإلهي من خلال شيئين أساسيين:

1 - أن الله أمهلهم ولم يعاقبهم حتى هموا بالمعصية.

2 - عنصر المفاجأة لأن العقاب جاء وهم لاهون عنه و مستغرقون في العشاء وغير متوقعون له.

ويشير كل هذا إلى علم الله حكمته وعدله.

5-3-2- أسطورة عنابة والبحر:

يحكى قديما أن مدينة عنابة كانت محل نزاع بين وليّين صالحين وهما سيدي إبراهيم الموجود مقامه بمسجد سيدي إبراهيم عند المدخل الجنوبي الغربي لمدينة عنابة، وسيدي بو مروان الشريف صاحب المقام المتواجد في المدينة القديمة المعرفة باسم " ساحة السلاح" "Place d'armes"، كل منهما يريد بسط نفوذه على المدينة والاستئثار بخيراتها وولاء أهلها. و لكن سيدي إبراهيم لم يكن إبن المدينة بل كان غريبا عليها، أتى من بعيد ليستقر بباب المدينة. وبذلك يعتبر وليّا دخيلا عليها فإن سيدي بومروان الشريف الذي هو أصيل المدينة لم يقبل أن ينافسه هذا الأخير السلطة على مدينة عنابة ومباركة أهلها فتنازعا عليها طويلا.

وفي مرة الشتد الغضب بسيدي ابراهيم فدعا على المدينة بأن تميل نحو البحر لتغرق بقوله "روحي يا عنابة روحي " بمعنى إذهبي دون رجعة إلى البحر.ولولا تدخل سيدي بومروان الشريف في آخر لحظة لينقذها من الغرق الوشيك ولحسن حظ مدينة عنابة وأهلها فإن سيدي بومروان الشريف قد استعمل قوته الخارقة و كراماته ليمسك المدينة على حافة البحر .

ساعتها لم يجد سيدي إبراهيم إلا أن يسحب بركاته ودعواته بالخير من سكان مدينة عنابة الأصليين وأن يمنحها للغرباء الوافدين عليها بأن دعا دعاءه المشهور بين أهالي مدينة عنابة بقوله "تخرجي على البراني وما تخرجيش على أماليك"، ومنذ ذلك الوقت أصبح متعارفا عند أهل مدينة عنابة أنهم لن يتمكنوا من النجاح و تحقيق مشاريعهم و الغنى داخل مدينتهم مهما حاولوا، وأن هذا الأمر ميسور و من السهل تحقيقه على غيرهم من الوافدين الغرباء الذين يستقرون بها طلبا للرزق.

تحليل القصة

تتمحور القصة حول قدرة الأولياء الصالحين استعمال الكوارث الطبيعية للعقاب وذلك من خلال:

- تقع الكوارث الطبيعية لأسباب فوق المادة Metaphysique ولتحقيق إرادة خارقة مثل إرادة الأولياء الصالحين.
- قدرة الأولياء الصالحين على التحكم في الظواهر الطبيعية.
- استعمال الأولياء الصالحين لهذه القدرة في الجزاء و العقاب.
- صفة القهرية Fatalité وذلك لسببين:

1 - عدم القدرة على معارضة إرادة الأولياء الصالحين.

2 - العقاب كان سيقع على سكان المدينة دون ذنب.

6ـ الكارثة الطبيعية في الإشاعة

خلال قيامي بالدراسة الاستطلاعية لإعداد هذه المذكرة ذهبت إلى مراكز تجمع الناجين من الكارثة بولاية بومرداس بعد الزلزال الذي أصاب المنطقة في شهر ماي 2003، فزرت ماتبقى من مدينة زموري الساحلية، كان ذلك في بداية شهر جويلية أي بعد مرور حوالي شهر ونصف على الكارثة. وعند مقابلة الناجيين من الزلزال تعجبت من انتشار الإشاعات حول الكارثة بينهم. مما استدعى التطرق إلى محاولة تحليل محتوى البعض من هذه الشائعات.

6-1-تعريف الإشاعة

وتعرف الشائعة عموما بأنها: "رواية مصطنعة جزئيا أو كليا عن فرد، أو أفراد، يتم تــداولها شفهياً أو بأية وسيلة متعارف عليها، دون الرمز لمصدرها، أو ما يدل على صحتها، ومعظم الشائعات مختلفة ذات دوافع نفسية، أو سياسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، وتتعرض أثناء التداول للتحريــف، والزيادة، والنقص، وتميل غالباً للزيادة والتضخيم ".

وللإشاعة شرطان أساسيان:

- فالشرط الأول يتمثل في أن موضوع الإشاعة ينبغي أن ينطوي على شيء من الأهمية بالنسبة للمتحدث وللمستمع.
- أما الشرط الثاني فيتمثل في أن الوقائع الحقيقية للقصة ينبغي أن تتسم بشيء من الغموض.

وهذا الغموض يمكن أن ينشأ عن انعدام الأخبار أو اقتضابها ونقصــها أو عــن تضــارب الروايات أو عدم الثقة بمصادرها أو عن التوترات الانفعالية التي تنشأ عن رفض الفرد وعدم قدرتــه على تقبل الوقائع التي تقدمها الأخبار الصحيحة. والحق أن الإشاعة تشتمل دائما على خليط أو مزيج مختلف من الأخبار (بما فيها الأخبار التي يمكن أن تشمل جانبا من الحقيقة) ولكن هذا الخليط تطغى عليــــه فـــــي مراحل انتقاله الكثير من الخيال والتضخيم والتغيير، مما يجعل من المستحيل العزل أو التفريق بين الحقيقة وغيرها، أو التحقق على وجه الدقة إن كانت الأقصوصة تحتوي أصلا علـــى جانب من الحقيقة.

ولأن الإشاعة تعتبر ممارسة أو طريقة ضمن طرق التواصل بين الناس (أغلب الناس) فإنـــه يتوضح بأن قيمة الإشاعة ومدى سريانها يرتبط ارتباطا مباشرا بالشرطين الأساسيين للإشاعة وهمـــا الأهمية والغموض، فكلما كان موضوع الإشاعة مهما ومثيرا داخل المجتمع وعنصر الغموض قـــوي في تكوينها كلما كبرت قيمتها وزاد انتشارها و سرع سريانها.

وفي حالة كارثة بومرداس فإن هذين الشرطين متوفرين بشدة، إذ أن وقوع الكارثة له أهمية قصوى عند الجميع ووقائع حدوثها يكتنفها الكثير من الغموض فتصبح مجالا خصبا لاختلاق وانتشار الكثير من الشائعات.

6-2-دوافع الإشاعة

إذا كان الغموض شرط أساس في وجود وسريان الكارثة فإن الحاجة إلى الفهم أو إكمال الصورة الناقصة والإجابة على التساؤلات التي تطرح نفسها وتتسبب في قلق الانزعاج (الذي تحدث عنها إليس في العلاج العقلاني الانفعالي) الذي ينتج عن جهل تفاصيل الوقائع ، لتجنب هذا القلق يتكون الدافع الأساسي لدى الأفراد لخلق الإشاعات وتسريبها والعمل على انتشارها.

6-3-الإشاعات والتصورات الاجتماعية

إن الإشاعات مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتصورات الاجتماعية، إذ توجد علاقة جدلية بينهما فالإشاعة كطريقة تواصل وسلوك تؤثر على التصورات الاجتماعية عن طريق ترسيخها وتأكيدها أو محاولة تغيير بعض أوجهها(حرب الإشاعات)، بينما الإشاعة ذاتها هي نتاج التصورات الاجتماعية بدليل أنها تختلف من مجتمع إلى آخر في محتواها أو طرق انتشارها، بل تختلف داخل نفس المجتمع بين مختلف الجماعات الاجتماعية

وتبرز هذه العلاقة من خلال هذين المفهومين أساسين خاصة:

- محتوى الشائعة نفسه أي الخبر، كيف يتكون؟ وما هو المضمون الضمني والصريح للشائعة؟ ما هي طرق وصول الخبر المشاع؟...
- مفهوم الصدق والكذب في الشائعات: ما لذي يجعل من شائعة ما قابلة للتصديق على المستوى الفردي كما الجماعي؟ ومن يمكن أن نصدق؟ ومن يمكن أن نكذب؟ وما لذي يجعلنا نتردد في مصداقية بعض الأخبار ولو جاءت من مؤسسات رسمية؟...

إن الشائعات من الظواهر القابلة للتضخم والانتشار بسرعة كبيرة وذلك لأن من خصائصها العدوى الاجتماعية مما يكوّن عنصر تشابه بينها و بين الأوبئة والأمراض المعدية في كيفية الانتشار فإما أن يكون ذلك عن طريق عامل فيروسي ينتشر بسرعة أو عن طريق incubation لفترة طويلة تأتي بعده مرحلة الاكتساح.

6-4-الإشاعة والكارثة الطبيعية:

إن الإشاعات تتكون حول محاور أساسية وهي:

- السلطة
- المال
- الجنس
- الموت

وكل هذه المجالات تشترك في كونها ذات أهمية في حيلة الأفراد والمجتمعات وأنها غير قابلة للتحكم مما يخلق حالة من الخوف والقلق نحاول على المستوى الفردي كما الجماعي أن نسيطر عليها

عن طريق الهوامات والإبداع الخيالي، فإن لم يكن الفرد هو الصانع للإشاعة فهو يتلقاها بتلهف ربما زاد في محتواها عند تقلها. في حالة الكارثة الطبيعية يتوفر:

- عنصر الفوضى الاجتماعية مع الفوضى المادية مما يسمح لكل واحد أن يعيش هوامته وينسج من خياله ما يحميه من القلق
- القابلية لتضخيم الأخبار
- رفض تصديق الأخبار الرسمية
- وجود الموت كنواة مركزية في حالة الكوارث الطبيعية.

وهكذا فإن الإشاعة بالرغم من كونها صورة من أكبر صور النشاط الاجتماعي بعدا عن الموضوعية والحقيقة والقيود المنطقية للحكم والنقد، إلا أنها من الظواهر الأكثر انتشارا في كل المجتمعات والتي تعتبر من أهم القواسم المشتركة بين مختلف الثقافات الانسانية، وإن كانت قد اختلفت في وسائل تناقلها بين أفراد المجتمع الواحد من تناقلها بين شخصين عن طريق الحديث المباشر إلى غاية وصولها إلى مرحلة الانتقال إلى الجماعات الكبيرة عبر وسائل الإعلام المختلفة كالتلفزيون، الجرائد وأخيرا الانترنت. كما تعتبر من أشد الأسلحة فتكا في الحروب النفسية في جميع المجالات بدءا من المجالات التنافسية بين الأشخاص والجماعات إلى العسكرية والدولية.

6-5-نماذج من الإشاعات الجزائرية حول الكوارث:

هذه بعض النماذج من الاشاعات التي انتشرت بين أوساط الأفراد الناجين من كارثة بومرداس والتي تناقلوها بينهم بشكل ملفت للنظر، وهذا من عدة وجوه، من بينها اتفاقهم على محتواها وأهميتها

وهدفها والحكمة أو العبرة منها... ، إلا أنهم يختلفون في تفاصيل وقائعها مثل مكان وقوعها، وهوية أبطالها وتوقيتها- والتي تمثل مكمن الغموض المشكل لروح الاشاعة -. إلا أن الملفت للانتباه أن جميع من يرون هذه الاشاعات يدعون باستمرار أنهم على معرفة أكيدة بكل هذه التفاصيل وحتى الصلة غير المباشرة بأبطالها مثل أن يقول أحدهم أن البطل هو قريب لجارة خالته مثلا...

6-5-1- الهارب من الزلزال:

الرواية تتلخص في أن شخص(في كل رواية يؤكد لك الراوي معرفته الأكيدة ولكن غير المباشرة لهذا الشخص) ممن نجوا من الزلزال قرر الفرار من المنطقة، فأخذ أفراد عائلته وما استطاع أن يحمله من ممتلكاته الخفيفة واتجه بعيدا نحو مدينة داخلية (في كل رواية تذكر مدينة معينة) وانطلق في سيارته بسرعة جنونية خوفا من عودة الزلزال ثانية. و حينما ابتعد عن منطقة الخطر وأحس هو ومن معه بالأمان وقع له حادث بسيارته(قد يذكر لك تفاصيل الحادث أو لا تذكر حسب الراوي) فمات هو وكل من معه في السيارة.

تحليل الإشاعة:

تتمحور الإشاعة حول قهرية أو قسرية الكارثة، وذلك من خلال:

- تقديم فعل الفرار على أنه فعل سيء أو سلبي.
- عدم جدوى الهروب من مكان الكارثة مهما كانت الوسائل.
- قد يكون إحتمال النجاة من الموت أقوى مع البقاء والتسليم.
- قد تكون النجاة من الكارثة جزاء أو مكافأة على التسليم بها.

6-5-2- سر الطابق الأول:

أما الإشاعة الثانية فهي أغرب من الأولى، محتواها أن رجلا(يؤكد لـــك صـــاحب الراويـــة معرفته الأكيدة ولكن الغير مباشرة لهذا الرجل) كان يملك عمارة كبيرة (كما يسمي لك مكان تواجدها دون تحديد دقيق) بعدة طوابق، ولما جاء الزلزال هدمت كل الطوابق ولم يسلم منها ســـوى الطـــابق الأول. وأمام تعجب وإثارة المستمع ودهشته وقبل أن يسأل عن سبب ذلك ، يخبرك الراوي ويؤكد لك أن الرجل المذكور كان قد بنى الطابق الأول من مدا خيل حلال (قد يذكر لك مصدرها كأن يذكر لك عمله سابقا مثلا) بينما أكمل عمارته من مداخيل حرام (قد يذكر لك مصدرها كأن يذكر لك عمله حاليا مثلا).

تحليل الإشاعة:

محور هذه الإشاعة أن الكارثة الطبيعية هي عقاب إلهي عادل وذلك من خلال:

- وقوع معصية ومخالفة للأوامر الإلهية من طرف بطل الرواية.
- استحقاق العقاب الذي جاء على شكل زلزال.
- العدل الإلهي المتمثل في انهيار الجزء الحرام دون الحلال.

التحليل العام

من تحليل بعض مصادر الثقافة الجزائرية التي تناولت الكوارث الطبيعية مثل بعـــض آيـــات القرآن الكريم و القصة الشعبية أو الأسطورة التي محورها الظواهر الطبيعية الخارقة للعـــادة ومنهـــا

الكوارث الطبيعية وبعض الإشاعات التي انتشرت بعد كارثة زلزال منطقة بومرداس في ماي2003، يتضح لنا أن للكارثة الطبيعية خصائص أساسية في الثقافة الشعبية الجزائرية:

- مصدر الكوارث متعلق بقوة ميتافيزيقية قد تكون إلهيه مباشرة أوغير مباشرة عن طريق كرامات تعطى لأشخاص معينين.
- أن الكارثة هي عقاب يكون بسبب غضب القوة التي هي مصدر الكارثة ويكون متعلقا غالبا بمعصية أو خطيئة ارتكبها ضحايا الكارثة الطبيعية أو لم يحولوا وقوعها. وقد يكون الغضب غير متعلق بهم.
- القهرية Fatalité أي أن الكارثة قدر لابد منه بدليل عدم جدوى أي محاولة لتفاديه.
- العدل المطلق لهذا العقاب أي أن وقوع الكارثة هو تحقيق لعدل ما.

تتزايد كل يوم من حولنا الأحـداث الفاجعـة والمؤلمـة التـي يتعـرض لهـا الأشـخاص (G.villaص03) سواء كان ذلك على مستواهم الخاص كأفراد (الاعتداءات الجسـدية والجنسـية خصوصا على الأطفال وحالات الاختطاف...) أو على مسـتوى الجماعـات (الحـوادث الكبـرى واختطاف الطائرات والتفجيرات الإرهابية...) أو على مستوى المجتمع ككل (الكوارث بكل أنواعها والحروب...)، مما يخلف دمارا وخرابا ماديا وإصابات جسدية قد تكون خطيرة جدا وآثـار نفسـية شديدة ابتدءا بالضغط النفسيSterss وانتهاءا بالصدمة النفسية التي قد تصيب بعض الأشخاص فتحول حياتهم تماما.

1 - نشأة وتطور مفهوم الصدمة النفسية

1-1-البدايات الأولى

وجد في بعض نصوص التي كتبت في مرحلة قبل التاريخ، وصف لأعراض مثل التي عرفت فيما بعد بإسم "العصاب الصدمي" ومن أشهرها تلك التي رواها هيرودوت Hérodote و التي تدور حول قصة محارب يوناني يدعى أبيزولوس Epizelos ابن كانفاقوراس Camphagoraos أثنـاء معركة ماراتون Marathon سنة 490 ق م، والذي عاني طيلة حياته من فقد البصر بعد مشـاهدته لحادث صادم والمتمثل في قتل أحد المحاربين لخصمه أمام عينيـه، ممـا يـذكرنا بحالـة " العمـى الهستيري "(A.Bouslimane in Pratique des soins et psychotrauma ص 29).

وفـي بعـض نصوص لوكريك Lucrèce في كتابه حـول العلـوم De natura rerum (100-55 ق.م) تطرق إلى حالات من الأحلام المرعبة تشبه الأحلام بعد الصـدمة، وكانـت هـذه الأحلام محورها المعارك ومواجهة الموت(G.Villa et all ص 12-13).

وفي نفس السياق جاءت محاولة "Pline le jeune " الشهيرة حول دمار بومبي سنة 79 قبل المسيـــح والتي قام فيها بجمع روايات ومحاولات المؤرخين حول الكارثـــة وشهـــادات شهود العيان الناجييـــن من الكارثة كما نقلـــها الرواة.

أما في العصور الوسطى فإننا نجد في أناشيد رولان Rolland سنة 1100 م أوصاف عديدة للجراح المؤلمة التي تتركها الأسلحة و آثارها على النفس وأيضا أحلام شـــارلمانِ Charlemagne الذي كان يرى فيها جيوشه تهزم وتباد على أيدي أمام الغيلان Monstres في بعض المعارك.

كما أن ملك فرنسا شارل التاسع Charles IX اعترف لطبيبه الخاص بعـــد أيـــام مـــن تـــدمير Saint-Barthélemy في شهر أوت سنة 1572 بانه يرى أحلاما مفزعة صدمية، وأعراض جسمية ناتجة عن القلق والرعب.

كما أن فيليب بينال philippe pinel تحدث عن صدمة نفسية تعرض لها الفيلسوف بســـكال سنة 1630 حين كاد أن يقع في نهر la Seine بعربته وبقي بمدة 8 سنوات يعاني من حالـــة إعـــادة معايشة للحادث.Reviviscence

1-2- مرحلة الملاحظات الطبية

ويعتبر ابن سينا(محمد النابلسي 1991) أول من درس الصدمة النفســـية وأثارهـــا الجســـدية والنفسية في تاريخ الطب بطريقة علمية تجريبية وبدراسة مقارنة ومعمقة، فقد قام بربط حمل وذئـــب في غرفة واحدة دون أن يستطيع الذئب الوصول إلى الحمل ورغم أنه كان يقدم نفس الكميـــات مـــن الغذاء للحمل إلا أنه لا حظ هزال الحمل وضموره ومن ثمة موته، وبهذه التجربة يكون ابن سينا قـــد درس الصدمة وتأثيرها الذي يمكن أن يؤدي إلى الموت خوفا.

ثمّ بدأت الملاحظات الأولى للاضطرابات النفسية المرتبطة بالصدمات الناتجة عــن الحــروب النزاعات في القرن XVII. ففي الأبحاث الطبية الفلسفية لــبينال philippe pinel توجــد عــدة أوصاف لإشارات كثيرة وأعراض مختلفة، منها حالة ضابط متقاعد الــذي يعــاني مــن أعــراض: الإستيقاظ المفزع، الأحلام المرعبة، التشنجات العضلية في الأطراف بعد حوالي 50 سنة من الحيــاة العسكرية العملية النشيطة(A.Bouslimane ص 30).

ثمّ جاءت مذكرات وتقارير أطباء وجراحي جيوش نابليون لتحمل أمثلة كثيرة حــول حــالات مماثلة، نذكر منها: مذكرات الجراحة العسكرية Les mémoires de chirurgie militaires.

كما تعتبر الحوادث الكبرى للقطــارات (كوارث السكك الحديدية) مع نهــاية القــرن التاســع عشر محطة هــامة في دراسة ردود الأفعال ومخلفات الصدمات الانفعاليــة الناتجــة عن الوضعيــة الأزمةsituation crise مما سمح بظهور مصطلح عصاب الصدمة من طرف Oppenheim ســنة 1888 و الذي كان محل أخذ ورد ونقــاش طويــل من طرف الكثير من العلماء مثــل ج. شــاركو وب.جانييــه و س. فرويد (Louis Crocq ص 395).

1-3- مرحلة القرن 20

تميز هذا القرن بالحروب والنزاعات الأكثر دموية إذ شهد في نصفه الأول حربيين عــالميتين مدمرتين و التي استعملت فيها الأسلحة الثقيلة الأكثر فتكا وتدميرا في تاريخ البشرية، وهذا أدى إلــى تعميق البحث الإكلينيكي حول العصاب الصدمي وذلك في مجال الطب العقلي العســكري فظهــرت تسمية عصاب الحرب من طرف هونيقمان Honigmann 1907 والتي أطلقهــا علــى الأعــراض

العصابية (هيستيريا و الوهن العصابي وتوهم المرض) والتي تم ملاحظتها على الضباط الروس خلال الحرب اليابانية الروسية في سنة 1904.

وضمن المحاولات العلاجية التي صاحبت الحرب العامية الأولى والتـــي وإن نجحـــت فـــي التخفيف من الأعراض لم تمكن المصابين من الرجوع إلى ميدان الحرب، جاءت المقاربة العلاجيـــة التحليلية حول اضطرابات عصاب الحرب على يد بعض المحللين النفسيين ومنهم فرويد الذين تدخلوا لعلاج مرضى عيادة تافيستوك Tavistock بلندن (G.Villa et all ص 14).

عرفت الحرب العالمية الثانية في 26 أفريل سنة 1943 ظهور أول منشـــور يـــأمر بوضـــع الجنود المصابين بالصدمة النفسية تحت المراقبة وكان يصفهم آنذاك بالمصابين النفســـيين Blessés psychiques (A.Bouslimane ص 30) ، كما سمحت ببروز ملاحظات أكثر دقة مثل الاســـتعداد المسبق للمرض و مرحلة الكمون التي تسبق ظهور المرض وهو مـــا أطلـــق عليـــه فـــي أنجلتـــرا "الاستجابات الحربية المتأخرة" مثـــل دراســـة شـــارل ريشـــي CharlesRichet 1946 و أوجـــين منكوفسكي Eugène Minkowsi 1947 و تارقولا Targowla 1950.

ويذكر محمد أحمد النابلسي أنه هذه الخيرة تزامنت مع دراسات مقارنة مثـــل التـــي قـــام بهـــا دافيس Davis1945 بين استجابات الجنود في الحـــربيين العـــالميتين الأولـــى والثانيـــة ظهـــر أن الاستجابات الهستيرية الشائعة في الحرب العالمية الأولى قد تلاشت لتعوضها الاســـتجابات الـــنفس-جسدية خلال الحرب العالمية الثانية(النابلسي ص 35-36). في نفس المرجع دراسة ثانية لسوســـيمي وباردينا ومانسو Sossimi, Bardenat et Mançeau 1949 أظهرت اختلاف الاستجابات الجنود خلال نفس الحرب حسب أصولهم العرقية وانتمائهم (إنجليز وهنود وجزائريين). ثم جاءت بحـــوث وملاحظات العلماء المعاصرين مثل لوي كروك وفورني A.Fournier اللذين قدما تفصيلا لما سمياه

"Nevrose de guerilla" نتيجة ما لاحظاه على الجنود الفرنسيين ، لم تعد الدراسات والبحوث تخص استجابات الحروب فحسب بل شملت كل الأحداث المسببة للصدمات النفسية مثل الحوادث بأنواعها والكوارث والاعتداءات الجنسية ...

وإذا تحدثنا عن الصدمة النفسية الناتجة عن الكارثة الطبيعية والخاصة بالزلزال فيظهر أن من بين النماذج التي حظيت باهتمام الباحثين الزلزال الذي ضرب أرمينيا 1988 وقد ضمت العينة عددا من التلامذة المراهقين الذي عاينوا الزلزال، وتبين لهم أن الناجين قد أصيبوا باضطراب ما بعد الصدمة والاكتئاب الشديد. وتبين أيضا أن الأفراد الذين تلقوا جلسات في العلاج النفسي قد تخلصوا من آثار الصدمة بما في ذلك الاكتئاب والأفكار الدخيلة والتجنب، بينما استمرت العوارض وتفاقمت عند الذين لم يخضعوا للعلاج النفسي .

في حين قام باحثون بدراسة نتائج الزلزال القوي الذي وقع في مقاطعة yunnan الصينية عام 1988 والذي أدى إلى قتل وتشريد العديد من السكان وقد قام الباحثون Mcfarlane and Hua 1993 بدراسة نتائج الزلزال على عينة من الناجين وقد استخدموا بعض الاختبارات النفسية وتوصلا إلى :

أ – ارتفاع نسبة الخوف والقلق والصداع واضطراب ما بعد الصدمة.

ب – محاولات الانتحار الجماعي بعد حدوث الانقلاب المفاجئ في الظروف المعيشية وعدد من الناجين يعتقد بأن التنين الضخم الغاضب هو السبب في حدوث الزلزال.

ج – ارتفاع نسبة الاكتئاب والحالات الذهانية والاضطرابات النفسية الأخرى، وتبين أن عدد الأشخاص الذين دخلوا المستشفى بسبب الحالة النفسية قد ارتفع. ويعود السبب إلى أن قسما كبيرا منهم كان يعاني أساسا من حالات نفسية ، غير أن الزلزال قد أدى إلى تفاقم الخوف والاضطراب .

ثم جاء تصنيف الجمعية الأمريكية للطب العقلي ليسجل محطة مهمة في تطور مفهوم الصدمة النفسية حيث أطلق عليه اسم اضطراب مـــا بعــد الصـــدمةPost Traumatic Stress Disorder P.T.S.D والذي سنتطرق له بالتفصيل لاحقا، وقد تم تعديله ثـــلاث مـــرات ســـنة 1980و 1987 و1994 (A.Bouslimaneص 32) وهو عبارة على تعداد للأعراض دون التطرق للمفاهيم النظرية الخلفية. و يبقى مفهوم الصدمة النفسية في تطور مستمر مع ما يشهده العلو اليوم من أحـــداث عنـــف وإرهاب مثل أحداث العشرية السوداء في الجزائر والتي أسفرت عن عدة دراسات حـــول أعـــراض الاضطراب أو الطرق العلاجية له وقد كانت من بين الدراسات التي قامت تحت إشراف هيئات دولية مثل اليونيسيف. و إن كانت الدراسات قد تشمل بعض الضحايا الموجودين في مناطق معينة من العالم دونا عن مناطق أخرى مثلا وفرة البحوث التي أجريت على الإسرائليين وقلتها وندرتها مع الفلسطنيين (النابلسي ص36)

2 - تعريف الصدمة النفسية:

لا يمكن الحديث عن اضطراب الصدمة النفسية دون الحديث عن الصدمة نفسها أي الحـــدث الصادم أو الصدمي Evénement traumatique الذي يكون سببا في ظهور المرض النفسي.إذ أن مرض الصدمة النفسية له بداية معينة أو نقطة انطلاق واضحة هي السبب المباشر فـــي ظهـــور الأعراض بدون هذا الحدث أو الحادث لن يكون هناك مجالا للحديث عن الصـــدمة النفســـية وعـــن أعراض أو مشكلات بعد صدمية ولكن هل يمكن لأي حدث مسبب للألم أو خارق للعادة أو مغاير لما يتوقعه الإنسان أن يوصف بالحدث الصدمي؟ أو أن هناك خصائصا معينة هي التي من خلالها يمكن تحديد الحدث الصدمي من غيره؟

لذا يتوجب تحديد بعض الخصائص التي تجعل من أي حدث حدثا صدميا.

2-1- تعريف الحدث الصدمي

الحدث أو الحادث لغويا من حدث يحدث حادثا أي طرأ أو وقع. وهو باللغة الفرنسية: Evénement من اللفظ اللاتيني Evenir والذي يعني ما يحدث أو يطرأ أو يقع و يظهر جديدا (Le Petit Larousse ص 190)

و هذا الحدث يمكن أن يكون سارا مفرحا أو محزنا، مؤلما أو مصحوبا بلذة، عاديا أو استثنائيا، متوقعا أو مفاجأ، فرديا أو جماعيا.... من السهولة أن نستخلص أن الحدث المتسبب في الصدمة النفسية هو حدث مفاجئ غير متوقع يتعدى حدود المألوف والمعتاد وعلى درجة كبيرة من الخطورة... ولكن هل هذه المواصفات تكفي لكي يتحول كل حدث إلى حدث الصادم traumatisant أو صدمي Traumatique بمعنى أنه يخلف أعراض نفسية مرضية بعد صدمية عند كل من يتعرض له؟

ومن تعريف الحدث الصدمي: " هو حدث خارج عن المألوف، يتعدى مجال الخبرات العادية (الحداد، المرض...) تتم معايشته بهلع -بخوف كبير- وهو يمثل مواجهة أو لقاء مع الموت" (H.Souki ص34) يمكننا استخلاص خصائص الحدث الصدمي:

1. حدث خارج عن المألوف، غير اعتيادي وغير متوقع.
2. معاش من الهلع Un vécu de terreur يؤثر على ادراكات وأحاسيس الشخص.
3. لقاء أو مواجهة مع الموت والتي تتعدى مجرد الإحساس بالتهديد بالموت إلى رؤية و معايشة سيرورة الموت – يسيطر على الفرد إحساس انه يسير وحيدا نحو المجهول-

والخاصية الثالثة تفسر ما نلاحظه في الواقع من اختلاف وتباين ردود أفعال واستجابات مختلفة بين الأفراد عقب نفس الحدث- في حين أن بعض الأفراد رغم الضغط النفسي الشديد الذي يتعرضون له خلال الحدث المهدد يستطيعون تجاوزه والعودة إلى حالة الاستقرار النفسي تتحول حياة أفراد آخرين تماما حيث يدخلون في معاش بعد صدمي يؤثر على كل حياتهم- ليس بسبب الحدث ومدى خطورته وإنما بسبب الطريقة التي يعاش بها.

وبالتالي نخلص إلى أن الصدمة Trauma زيادة عن عنصر المفاجاة وعدم التوقع للحدث والهلع الشديد الذي يصاحبه تتكون عندما يجد الفرد نفسه في مواجهة –معايشة- الموت أي لقاء حقيقي مع الموت سواء كان موته هو أو موت الشبيه Alter ego.

2-2 تعريف الصدمة النفسية

تتعدد التعاريف الخاصة بالصدمة النفسية، بتعدد العلماء والاتجاهات النظرية وقد أوردنا في فصل الصدمة النفسية أهم التعاريف التي تناولت بالتوضيح والشرح مصطلح " الصدمة النفسية "

فالصدمة لغويا أو الصدمي "Trauma" هي تعابير مستعملة قديما في الطب والجراحة، وهي مشتقة من الكلمة اليونانية "traumatos" ومن مرادفاتها بالفرنسية traumatisme المخصصة على الأدق للحديث عن الآثار التي يتركها جرح ناتج عن عنف خارجي(Mostapha Khiati ص 85).

أما معجم مصطلحات التحليل النفسي فيعرف الصدمة هي حدث في حياة الشخص يتحدد بشدته وبالعجز الذي يجد الشخص فيه نفسه عن الاستجابة بما يثيره في التنظيم النفسي من اضطراب و آثار مولدة للمرض.(لابلانش و بونتاليس ص300).

ولقد اقتبس التحليل النفسي هذين المصطلحين مع أننا لا نصادف عند فرويد ســوى كلمــة صدمة trauma ناقلا إلى الصعيد النفسي المعاني الثلاثة التي يتضمنانها أي معنى الصدمة العنيفــة ومعنى الكسر أو الإصابة ومعنى الآثار على مجمل المتعضي (لابلانش وبونتاليس ص301).

أما سيلامي sillamy فهو يعرف الصدمة على أنها حادث عنيف قابل لشن اضطرابات جسدية ونفسية تؤثر على بنية الشخصية. وإن لم تكن هذه الآثار يمكن اعتبارها أزمة عابرة، وحسب رأيــه فإن الصدمة تكون دائما متبوعة بمجموعة من الاضطرابات النفسية والجســدية التــي تكــون غالبــا مستمرة . أي ما يعرف بتناذر ما بعد الصدمة syndrome post traumatique أهمها:

1. عدم الاستقرار.
2. الضعف.
3. العياء النفسي.
4. فقدان الذاكرة.
5. النكوص إلى مرحلة طفولية.
6. الهروب إلى الإدمان وتعاطي المخدرات والكحول.
7. توهم المرض.

كما يعرفها سيلامي sillamy أيضا باعتبارها تنشأ نتيجة ظهور حدث مفاجئ وغير متوقع في حياة الفرد والذي يغير وجوده بصفة كبيرة ومهمة. وبسببه يصل الفرد إلى عدم التكيف ويتعلق الأمر في أغلب الأحيان بإحباط أو فقدان شخص عزيز(sillamy 1996).

ويأتي تعريف بايلي Bailly مميزا حيث يقول :" إن الصدمة النفسية ليست استجابة أو رد فعل النفس لوضعية خاصة، و إنما هي عدم استجابتها وتجمدها "Blocage" (Mostapha Khiati ص 06).

أما بيرون Perron فهو يعتبر الصدمة انفعالا عنيفا متغيرا بطريقة مستمرة وشخصية الفــرد المصدوم تصبح حساسة لانفعالات مماثلة للصدمة الأولى. كما يرى أن للصدمة مفهومين:

المفهوم الأول: الصدمة هي مجموعة من الاضطرابات المحدثة بسبب إصابات في العضــوية خاصة في المنطقة الدماغية الجمجمية مع جروح، هذه الاضطرابات قد تكون عابرة ومؤقتة وقد تكون مستمرة أي ما يعرف بتناذر ما بعد الصدمة.

المفهوم الثاني : الصدمة هي حالة من العضوية تختص بفعل إثاري حيــث يكــون التفريــغ مستحيلا والعضوية لا تستطيع تعديل هذه الإثارة ، وهذا حسب النظرة التحليليــة للصــدمة (محمــد النابلسي 1991) .

أما فرويد فيعرف الصدمة على أنها تجربة معاشة تحمل معها للحياة النفسية وخلال وقــت قصير نسبيا زيادة كبيرة في الإثارة لدرجة أن تصفيتها بوسائل التسوية المألوفة تنتهي بالفشل، ممــا يجعل هناك اضطرابات دائمة في قيام الطاقة الحيوية ووظيفتها (لابلانش وبونتاليس 1985).

وبصفة عامة يعرف علماء التحليل النفسي الصدمة النفسية بأنها حالة تتميــز بــالإفراط فــي الاستثارة والانفعال إلى حد يمتنع فيه تصريف الطاقة فيبحث هذا الفرد في التوافق مع الموقف أن يبعد نفسه عن أي استثارة إضافية مستعينا في ذلك بدفاعات لا سوية (فرج عبد القادر 1975).

ويعرفها L-Croq كروك بأن الصدمة النفسية هي ظاهرة ذهول تجتاح الجهاز النفسي، بسبب تــدفق أثارات عنيفة وعدوانية تتجاوز قدرات دفاع الفرد، وتــؤدي إلــى إخــلال أساســي يمــس نمطــه الوظيفي(Mostapha Khiati ص72).

بعد كل هذه التعاريف يمكننا القول بأن الصدمة النفسية هي اضطراب ينجم عنــدما يتعــرض شخص ما لحدث مؤلم جدا وغير قابل للتصور (صدمة) يتخطى حدود التجربة الإنســانية المألوفــة

(أهوال الحروب، رؤية أعمال العنف والقتل، التعــرض للتعــذيب والاعتــداء الجســدي الخطيــر والاغتصاب، كارثة طبيعية، الاعتداء الخطير على أحد أفراد العائلة...) يجد الشخص فيه نفسه فــي مواجهة الموت، بحيث يؤدي إلى اختلال التوازن النفسي و الفيزيولوجي للشخص المصدوم ويفرض عليه معاشا يفوق طاقة تحمله تظهر بعده عدة أعراض نفسية وجسدية.

2-3-الصدمة النفسية حسب جمعية الطب النفسي الأمريكية

في عام 1980 أدخلت جمعية الطب النفسي الأمريكية عبارة P.T.S.D وهــي اختــزال ل: Post Traumatic Stress Disorder أي اضطراب ما بعد الصدمة وذلك للدلالة على اضــطراب نفسي خاص يتلو حدوث الصدمة. وبعد سبع سنوات عادت جمعية الطب النفسي الأمريكية وأدخلــت بعض التعديلات على مفهوم اضطراب ما بعد الصدمةأهمها تعديلان أساسيان لا بد من الإشارة إليهما:

1. التركيز على عملية التجنب الذي يعتبر مؤشرا أساسيا للدلالة على اضطراب ما بعد الصــدمة (تجنب الأشياء والأفكار والمشاعر المرتبطة بالحدث وتجنب الوضعيات التي يمكنها أن توقظ ذكريات الحدث).
2. و لأول مرة اضطراب ما بعد الصدمة عند الأطفال (استعادة الحدث المؤلم عن طريق اللعــب المتكرر المرتبط بالصدمة مع انخفاض الرغبة في الأنشطة والمهارات بما في ذلك الكلام).

ويعتبر تصنيف جمعية الطب النفسي الأمريكيةمرجعا لتشخيص اضطراب مابعد الصدمة حســب الأعراض التالية:

أ – أن يعيش حدثا يتخطى الإطار المألوف للتجربة الإنسانية وأن يكون هذا الحدث مؤلما لــدى أي شخص آخر مثل التهديد الشديد أو الخطير على الحياة الشخصية أو الجسد، التهديد الشديد الذي يتناول

أحد الأبناء أو الزوجة أو أحد الإخوة أو أحد أفراد العائلة، التدمير المفاجئ للمنزل، رؤية أحد ينــزف أو يُقتل أمام الشخص كنتيجة لحادث أو لاعتداء جسدي.

ب – أن يعيش الشخص الحدث – الصدمة بشكل دائم وعلى الأقل بإحدى الوسائل التالية أو أكثر:

1 – عودة وتدخل الذكريات المؤلمة (صور وأفكار) للحدث (عند الأطفال الصغار، هناك اللعب المتكرر حيث يعبر الطفل بواسطته عن أشكال الصدمة ومتونها).

2 – الكوابيس المتعلقة بالحدث (الأحلام المخيفة) والتي تكون أحيانا ذات محتوى لا يمكــن التعرف عليه.

3 – الفعل الفجائي أو الشعور بالحدث – الصدمة قد تعود من جديد : شعور الشخص مثلا بأنه يعيش التجربة بالإضافة إلى الأوهام والهلوسات وفترة من التفكك (ومضات) مثل التــي تحــدث أثناء اليقظة أو حال التسمم.

4 - ضيق نفسي شديد عند التعرض لأحداث ترمز أو تشابه في شكلها الحدث – الصــدمة بما في ذلك الذكرى السنوية للصدمة.

ج – التجنب الدائم للمنبهات المرتبطة بالصدمة أو الخمود (التبلد) في الاستجابة العامــة (لــم تكــن موجودة قبل الصدمة). وهذا التجنب يظهر في ثلاثة أشكال على الأقل:

1 – بذل الجهود لتجنب الأفكار والمشاعر المرتبطة بالصدمة.

2 – بذل الجهود لتجنب الأنشطة والوضعيات التي توقظ ذكريات الصدمة.

3 – عدم القدرة على تذكر الجزء الهام من الصدمة (لأسباب نفسية).

4 – انخفاض ملحوظ في الاهتمام بأنشطة هامة (مثلا عند الأطفال الصغار نلاحظ فقدان بعض المهارات المكتسبة حديثا مثل العناية بالنظافة البدنية والمهارات اللغوية).

5 - الشعور بالانفصال والنفور من الآخرين.

6 – الانحسار في المجال العاطفي (عدم القدرة على الشعور بالحب).

7 – الشعور بضيق المستقبل بحيث لا يتوقع الشخص بأن يتزوج وأن ينجب أطفالا وأن تكون له حياة طويلة.

د – عوارض دائمة من الاستثارة الزائدة (لم تكن موجودة قبل الصدمة) كما يشير إليها على الأقل إثنان من العوارض التالية:

1 – الصعوبة في النوم والاستغراق فيه.

2 – الاهتياج وهبات الغضب.

3 – صعوبة التركيز.

4 – الاحتراز الزائد.

5 – المبالغة في استجابة الإجفال startel response

6 – ردة فعل فيزيولوجية إزاء التعرض للأحداث التي ترمز إلى الصدمة أو تشابه شكلا من أشكالها (مثل امرأة قد سبق لها وتعرضت للإغتصاب داخل المصعد نراها تصاب بالتعرق والاضطراب في كل مرة تستعمل فيها المصعد).

هـ - استمرار الاضطراب على الأقل لمدة شهر أو ستة أشهر أو ظهور العوارض بعد ستة أشهر من بدأ الصدمة (الشكل المتأخر أو المزمن)

4 - النظريات المفسرة للصدمة النفسية:

حاولت بعض النظريات أن تعطي تفسيرات متنوعة لتشكيل اضطراب ما بعد الصدمة ومن أهم هذه النظريات:

4-1- النظرية التحليلية والصدمة النفسية :

يحتل مفهوم الصدمة النفسية مكانة جوهرية في نظرية التحليل النفسي حيث ظهر هذا المصطلح منذ البداية في أعمال فرويد في كتابه " دراسات حول الهستيريا " وقد ميز هذا الأخير بين الصدمة "trauma" التي تشير إلى الأثر الداخلي الناتج عند الشخص بسبب حادث ما، وبين الصدمة النفسية "traumatisme" التي تشير إلى الحادث الخارجي الذي يصيب الشخص ، ولقد تم تناول الصدمة النفسية من منظور التحليل النفسي حسب وجهتين ، يصعب التمييز بينهما نتيجة تداخلهما ، وسنتناولها باختصار كما يلي:

أ – وجهة النظر الدينامكية :

افترض "فرويد" في المحور الأول أن الصدمة النفسية، تكون دائما جنسية ونتج عن الإغراء وأشار إلى أن حدوث الصدمة يقتضي توفر آمرين:

الأول: هو حادث إغواء لكائن غية ناضج ويكون في وضعية سلبية وغير مهيأ.

الثاني: هو العامل المفجر أو البعدي l'après-coup الذي تأخذ الصدمة معناها من خلاله، فهو الذي ينشط الآثار الذكروية (ذاكرة) المتعلقة بحادث الإغواء المبكر الذي عمل الكبت على حجبه ونسيانه (لابلايش وبونتليس ص 63).

تناول فرويد الصدمة النفسية في هذا الإطار من زاوية الظواهر النفسية التي تصاحبها، والصراعات التي تستثيرها القوى ذات المنشأ النزوي ونتيجة الاندفاع الذي تشكله. ويرى في

"دراسات حول الهيستريا" أن الصدمة هي جنسية أساسا ويجزئ عمل الصدمة إلى عناصر ويفترض دوما وجود حدثين على الأقل حيث يتعرض الطفل في المشهد الأول الذي يسمى مشهد الغواية إلـــى إغراء جنسي من قبل الراشد بدون أن يولد هذا الإغراء عنده إثارة جنسية. وبعد البلوغ يأتي المشـــهد الثاني الذي غالبا ما يكون عديم الأهمية ظاهريا، يوقظ المشهد الأول مـــن خـــلال إحـــدى الســـمات المترابطة بينهما وبذلك يطلق فيض من الاستثارة الجنسية التي تبعث الخلل في آليـــات دفـــاع الأنـــا (سييجموند فرويد، ترجمة جورج طرابيشي ص55).

ب- وجهة النظر الاقتصادية :

دفع مشكل عصاب الحرب فرويد إلى أن يوجه انتباهه للصدمة النفسية من زاوية أخرى إنـــه التصور الاقتصادي لها ، فقد عرفها على أنها انكسار واسع لصد الإثارات كإشارة إلى عجز الجهاز النفسي على تصريف فيض الإثارات الكبير، ذلك أن إجلاء هذه الكمية المعتبرة من الإثـــارات هـــي مهمة مبدأ اللذة ، والذي بسبب عنف ومفاجئة الصدمة النفسية يجد نفســـه مباشـــرة خـــارج التـــأثير. فبسبب المباغتة لا يقوم القلق كإشارة إنذار بمهمته، وبالتالي لا تتم تعبئة العمليـــات الدفاعيـــة بصـــفة ملائمة.

فالصدمة في محورها الثاني هي غياب النجدة في أجزاء الأنا التي ينبغي أن تواجـــه تـــراكم الإثارات التي لا تطاق سواء كانت ذات مصدر داخلي أو خارجي مما ينتج عنه اضطرا بات دائمـــة في قيام الطاقة الحيوية بوظيفتها.

أشار فرويد إلى أن تسمية الصدمة تنطبق على تجربة معاشة تحمل معها الحياة النفسية وخلال وقت قصير نسبيا، زيادة كبيرة في الإثارة، لدرجة أن تصفيتها أو إرصانها بالوسائل السوية والمألوفة ينتهي بالفشل، مما ينتج عنه اضطرابات دائمة في قيام الطاقة الحيوية بوظيفتها، ويصبح فيض الإثارة مفرطا بالنسبة لطاقة احتمال الجهاز النفسي، بسبب حادث فريد بالغ العنف، أو بفعل تـــراكم إثــارات تظل محتملة إذا ما أخذت كل منها بمعزل عما سواها. وهذا ما يؤدي إلى فشل مبــدأ الثبــات علـــى اعتبار أن الجهاز قادر على تفريغ الإثارة(Bergeret ص 268).

اعتبر فرويد في دراسته حول الهيستريا أن الصدمة النفسية تعرف بكمية الطاقة النفسية التي تحركها.كما بشير إلى تشابه اللائحة العيادية للعصاب الصدمي مع تلك المتعلقة بالهيستريا (سييجموند فرويد، ترجمة جورج طرابيشي ص57) اللذين يتميزان بالمعاناة الذاتية الكبيرة والنشـــاط الـــدفاعي المفرط، وسيطرة الطابع المرضي الذي يهدف إلى تجنب الانهيار الاكتئابي الذي يتمكن من إرصـــائه بكل الوسائل، إذ تفشل الاستراتيجيات الهيسترية في احتواء فيض الإثارات التي تبرز وتهدد تكامـــل الأنا، فيتم تفريغها في نشاطات متكررة ومؤلمة كالكوابيس على سبيل المثال، وأنـــه عنـــد مواجهـــة الإنسان لوضعية خطيرة دون أن يكون مستعدا لها فإنه يدافع ضد الرعب بالقلق.

هذه النظرية الكمية الاقتصادية تعززت بفعل الحرب العالمية الأولى، حيث احتلت العصـــابات الصدمية مكانة هامة في دراسته بين 1916-1920 وأصبح مصطلح الصدمة ليس لـــه إلا المعنـــى الاقتصادي، حيث تطلق تسمية الصدمة على حدث غير ممتد في الوقت والمكان، يحمل معه فيضا من الاستثارة النفسية تفوق شدته عتبة التحمل التي يتوفر عليها الفرد، مما يخلق اضطرابات دائمـــة فـــي استعمال الطاقة النفسية.

2-4 - معالجة الأنباءات: information processing

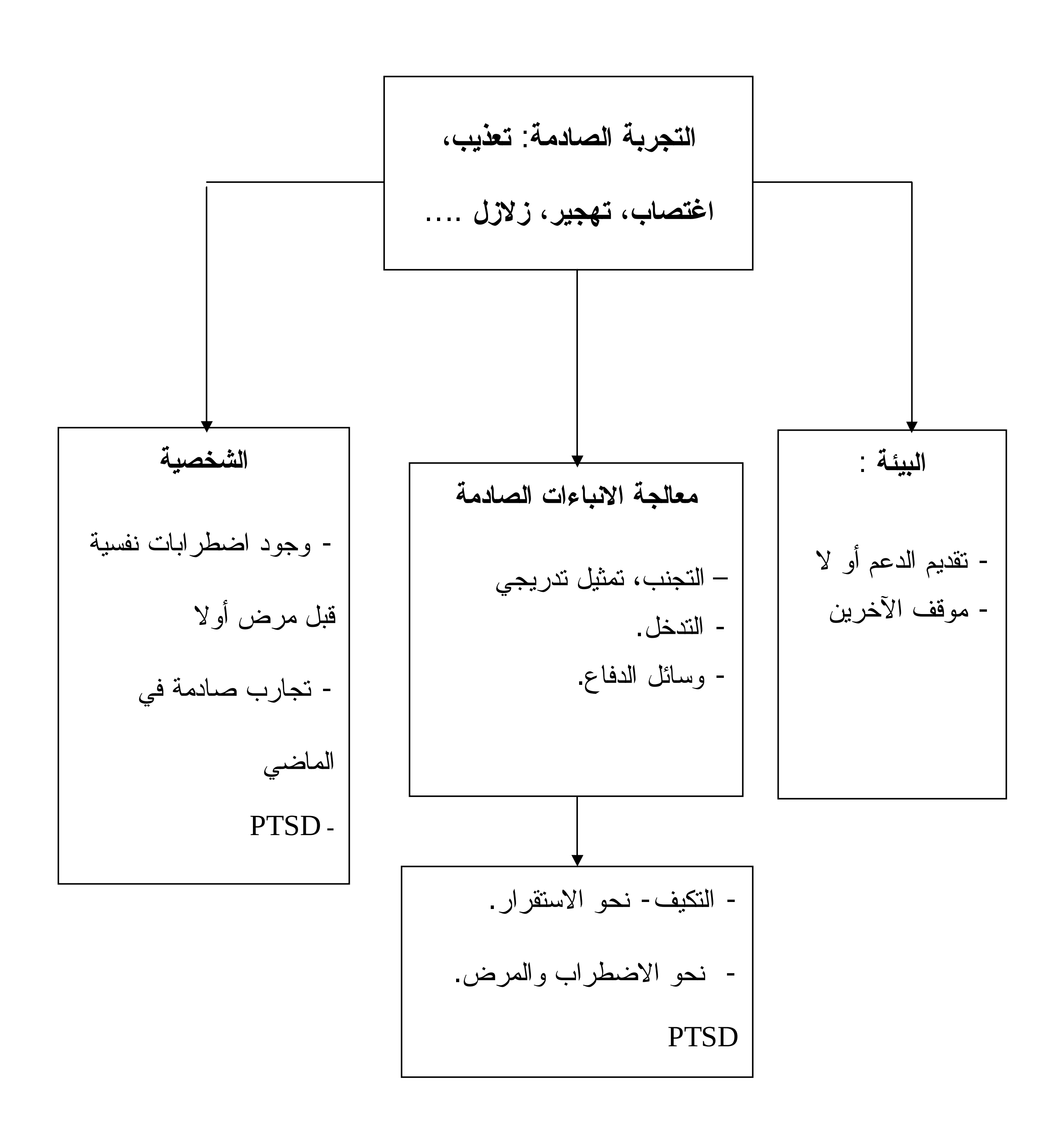
إن معالجة الأنباءات تعتبر من أهم النظريات التي حاولت أن تفسر اضطراب ما بعد الصدمة، فالأنباءات تغزونا من كل حدب وصوب، قسم منها يستوعبه الدماغ وتتم معالجتــه (ترميــزه، حــل الترميز، السلوك) بينما لا تتم معالجة القسم الآخر بشكل صحيح لأن الأنباءات تكون ناقصة أو فوق طاقة الجهاز العصبي (جهاز الاستقبال) كما هي الحال مثلا في الكوارث والصدمات بحيث لا تتلاءم المنبهات الخطيرة الطارئة مع خبرات الشخص ونماذجه المعرفية لأنها تتخطى الإطار السوي للتجربة الإنسانية. وهذا ما يؤدي إلى حدوث التشويه والاضطراب في معالجة الأنباءات. وفي هذه الحالة تبقى الأنباءات الصادمة ناشطة وبشكلها الخام وهي تستمر في ضغطها المؤلم على الشخص الذي يحــاول عبثا أن يبعدها عن عتبة الوعي حتى يشعر بالراحة والأمان. غير أن الشخص المصدوم يلجأ عــادة إلى استخدام بعض الوسائل الدفاعية السلبية مثل النكران والتبلد والتجنب. و هذه الوســائل الدفاعيــة تشكل السمات البارزة لاضطراب ما بعد الصدمة.

ويبدو أن المنبهات لا تغيب عن وعي الشخص بل إنها تغزو وبعنف رأسه من حــين لآخــر وتؤدي إلى المشاعر المؤلمة والصور والأفكار المأسوية المرتبطة بالصدمة.

وهذا يعني أن المنبهات الصادمة تخضع لمبدأ التكرار القهري لذكرى الصدمة (كوابيس، أفكار وصور دخيلة...) و هكذا تبقى المنبهات الصادمة تضغط على الشخص حتى تــتم معالجتهــا بشــكل كامل، وليس من السهل أو الممكن أن تحدث هذه المعالجة نظرا لطبيعة الصدمة. لذا هناك تأرجح دائم بين عمليات التجنب والتكرار والتبلد، وهذه العمليات تسبق كل محاولــة لاحتــواء الصــدمة(غســان يعقــــوب ص 70-71).

4-3- النموذج السيكولوجي:

حاول كل من green,wilson & lindey 1985 أن يضعوا نموذجا نفسيا واجتماعيا لتفسير اضطراب ما بعد الصدمة وهم يعتقدون بأن مصير الصدمة يتوقف من جهة على حـدتها وطبيعتها ومن جهة أخرى على شخصية المصدوم ودور البيئة . إذ كلما كانـت العوامـل النفسـية والبيئية ملائمة كلما كان المصدوم قادرا على تخطي آثار الصدمة واستعادة التكيف إلى حد معقـول. ومن المؤسف أن نقول بأن ضحايا الكوارث الطبيعية خاصة هم الذين يلقون العون والاهتمـام مـن جانب الأفراد والمنظمات والجمعيات الإنسانية بعكس ضحايا التعذيب والحروب والاعتـداء. وهـذه الحالة تنطبق مثلا على الجنود الأمريكيين الذين قاتلوا في الفيتنام . فالمجتمع ينظر إليهم نظرة احتقار ويعتبرونهم جماعة من المنحرفين والمجرمين. ويوضح الرسم التالي صورة ملخصة عـن النمـوذج السيكولوجي. (غسان يعقوب ص 72-73).



النموذج السيكولوجي

4 -4- نظرية التعلم والإشراط:

يعتقد Keane 1985 وزملاؤه بأن النمـــوذج الأول الخـــاص بالإشـــراط الكلاســيكي والنموذج الثاني والخاص بالإشراط الفاعل (سكينر) يفسر لنا كيف يتشكل اضطراب ما بعد الصـــدمة بما في ذلك استجابة الإجفال وسلوك التجنب وتعميم المنبه المؤلم على منبهات أو أشياء أخرى غيـــر مؤلمة أصلا، بمعنى أن المنبهات الحيادية تصبح فيما بعد مشروطة.

إن الشخص المصدوم (حرب، تعذيب، اغتصاب...) يحاول أن يهرب من المنبهـــات التـــي تذكره بالصدمة (التجنب) وهذه المنبهات قد أصبحت مؤلمة للشخص لأنها اقترنت مـــثلا بعمليـــات التعذيب أو تزامنت معها. من هنا يبدو أن الماضي المؤلم (التجربة الصادمة) يستمر عبـــر الحاضـــر والمستقبل وكأن الصدمة تطغى على كل شيء بحيث لا يعود التفكير المنطقي يعمل بشكل سليم.

إن النموذج السلوكي يساعدنا إذن على فهم اضطراب ما بعد الصدمة مـــن خـــلال نظريـــة التشريط. فالصدمات والنكبات والحروب وأعمال العنف تعتبر بمثابة منبهات مطلقة غير مشـــروطة تؤدي إلى استجابة الخوف وردات فعل فزيولوجية مطلقة. ويجري التعميم في استجابة الخـــوف إزاء المواقف والمنبهات التي ترمز إلى الصدمة أو تتشابه مع أدواتها.

ويتحدث Barlow 1988 عن الإنذار المكتسب، أي أن تعميم الخوف والخطـــر يمكـــن أن ينظر إليه على أنه استجابة قد تم اكتسابها عن طريق الإشراط (غسان يعقوب ص 74-75).

4- 5 - النموذج المعرفي:

يرمي النموذج المعرفي إلى إدراك معنى الحدث عند الشخص وكيف تظهر لديه المعاناة. ويبدو أن هذا الأمر يتوقف على نظرة الشخص إلى ذاته والعالم. هنا ندخل في صلب القيم والمعتقدات والنماذج المعرفية التي تميز شخصا عن آخر. ومما لاشك فيه أن الصدمة تؤدي إلى زعزعة هذه البيانات الشخصية. ويرى Epstein 1991 أن نظرة الشخص إلى الواقع وتكيفه معه يرميان إلى تحقيق الأهداف التالية:

- الحفاظ على التوازن القائم بين كفتي اللذة والألم.
- القدرة على فهم معطيات الواقع بطريقة تسمح للشخص بالتكيف معها بطريقة ما .
- الحفاظ على اعتبار الذات بشكل مقبول.
- الرغبة في الاتصال والكلام مع الآخرين.

وعلى هذا الأساس يرى Epstein 1991 أن هناك ثلاث معتقدات شخصية تفسر موقف الإنسان السوي من الواقع أو العالم الخارجي:

- إن هذا العالم هو مصدر الخير والإنشراح.
- إن لهذا العالم قيمة ومعنى ويمكن التحكم به.
- إن الأنا لها قيمتها وأهميتها الخاصة (فأنا شخص محبوب وجدير بالتقدير والاحترام).

إن المعتقدات المذكورة موجودة كما ذكرنا عند الشخص السوي أو العادي والذي يثق بنفسه ويبنى أماله من خلال الواقع الذي يعيش فيه وبالتالي لا يتصور بأنه سوف يتعرض لفشل محتم أو لكارثة تخرج عن نطاق المعقول. وعندما تقع الكارثة تتحطم المعتقدات والآمال المذكورة ويشعر الشخص بالذهول والنقمة واليأس وكأنه لا يصدق ما جرى.

وهكذا تتحول المعتقدات الإيجابية إلى معتقدات سلبية ويصبح العالم الخارجي مرعبا وتافها للغاية. إذ تنسحق الأنا تحت وطأة الكارثة وتفقد معناها و قيمتها. وهنا تظهر أهمية العلاج المعرفي الذي يتناول بدقة معالجة الأفكار والمعتقدات السلبية حتى يتمكن الشخص المصدوم من إعادة بناء تجربته وتبديل مفهومه عن نفسه والواقع والآخرين.

4 – 6 نظرية ويلسون وغموض الهوية:

اعتمد Wilson 1972-1977 على نظرية إريكسون لدراسة الهوية عند الجنود المقاتلين في فيتنام ووجد أن الجنود الذين تتراوح أعمارهم بين 18-24 سنة يتعرضون لضغوط ومخاوف شديدة تعرقل لديهم نمو الهوية الإيجابية.ومن المعلوم أن مرحلة المراهقة المتأخرة هي مرحلة الاستحقاقات (النجاح الأكاديمي ، الشهادة والاختصاص ، بناء الشخصية وعالم القيم ، تحديد المهنة والمستقبل ...) غير أن الحرب لا تسمح بتحقيق هذه الطموحات وبناء الهوية الإيجابية بشكل ملائم.

وجد ويلسن بأن الجنود في حرب فيتنام تنقصهم الهوية الإيجابية والأهداف الواضحة والطموحات. ومن الصفات البارزة لديهم: التبلد العاطفي والفكري، اليأس، عدم الثقة بالنفس، قلة الطموح، العزلة... وهذا يعني أنهم قد أخفقوا في تحقيق متطلبات النمو. فالعزلة التي حلت مكان الألفة وانخفض لديهم تقدير الذات وسيطر الغموض على هويتهم.

ويرد ولسن هذا الواقع المؤلم إلى إخفاق الشبان المقاتلين في فيتنام إلى تحقيق استحقاقات المراهقة وإلى غياب الدعم اللازم لهم من جانب المجتمع. هذا الإخفاق لن يسمح للشخص بتحقيق النجاح والتقدم في حياته المقبلة لأنه إخفاق كبير في بناء الهوية الإيجابية.

4-7-النموذج البيولوجي:

حاول بعض الباحثين أن يربطوا باضطراب ما بعد الصدمة بعمل الدماغ وما يطــرأ علــيه من تبــدلات كيــميــائية وفيــزيولوجية ووظائفية

حسب فريد مان- (G. Villa et all ص16) فإن الصدمة تؤدي إلــى ظهــور التغيــرات والإختلالات التالية:

1-الإفراط في استجابة الجهاز الودي (السمبثاوى).

2- النشاط الزائد للأدرينالين.

3- اختلال المحور التحت المهادي و النخامي.

4- تنامي في وظائف الغدة الدرقية.

5- المبالغة في استجابة الانطباعات الفجائية Sursaut.

6- الاختلال في تنظيم نسق النوم والأحلام.

7- احتمالات غير عادية في اختلال نسق السيروتونين، والدوبامين.

8- احتمال حساسية الأنوية اللمفاوية Noyaux limbiques مع اضطرا بــات تخــص مستقبلات G. A. B. A – Benzodiazépines و N.M.D.A

9- احتمال الإختلالات المناعية.

فالاستجابة الأساسية للصدمة في شكل ضغط شديد يتجاوز قدرة احتمال الشخص حيث يلاحــظ في الوعي ، الحذر ، اليقظة ، العواطف ، اختلالات النوم، الانطباعات الفجائية. فاستجابات الضــغط تمثل تهديدا حيويا شديدا يؤدي إلى إضعاف مراقبة النقل العصــبي للبنيــات المتصــلة، ولتحســيس المستقبلات بالمنبهات الخارجية المماثلة. فالتهديد الشديد والمتردد باستمرار يؤدي إلى حدوث نشــاط

عام سيئ التكيف مع استجابات الإنذار التي تتناسب إكلينيكيا مع تظاهرات حالة "الضغط ما بعد الصدمة".

ويرى Van der kolk 1984 أن الصدمة تؤدي إلى اضطراب في وظيفة الدماغ وبعض أنحاء الجسم . وهذا الاضطراب يظهر على الشكل التالي:

1 – ارتفاع في نسبة الكاتيكولامين في الدم.

2 – ارتفاع نسبة الاسيتيلكولين.

3 – انخفاض في نسبة النورإيبينفرين.

4- انخفاض نسبة السيروتونين في الدماغ.

5 – انخفاض نسبة الدوبامين في الدماغ.

إذن مصير الصدمة مرتبط بنشاط الإفرازات المذكورة، ويبدو أن الدماغ يقوم بهذه الوظيفة عندما يتعرض الشخص للصدمة. وبعد أن تمر الصدمة تحدث حالة شبيهة بالانسحاب والذي يلاحظ في عوارض الانقطاع الفجائي عن تعاطي المخدرات. ومن المعلوم أن الانسحاب يترافق بعوارض نفسية فزيولوجية شديدة الألم. أما De la Pina 1984 فقد حاول الربط بين اضطراب ما بعد الصدمة وبين طبيعة الجهاز العصبي وهو يرى بأن الأشخاص الذين يعانون أكثر من سواهم هم الذين سيطر لديهم الجهاز البراسمبتاوي. لهذا فهم لا يتوصلون إلى تحقيق ترميز كاف للإنباءات المؤلمة والمفاجئة بشكل صحيح، كما أنهم يستجيبون فيزيولوجيا وبشكل غير اعتيادي لتلك المنبهات. ومن هنا شدة العوارض الفيزيولوجية مثل اضطراب النوم والكوابيس والاحتراز الشديد وهبات الغضب والعدوانية. وهذا ما يشير إلى أن معالجة الانباءات تتم بشكل خاطئ وناقص لأنها تعتمد على المنبهات الحسية بالدرجة الأولى.

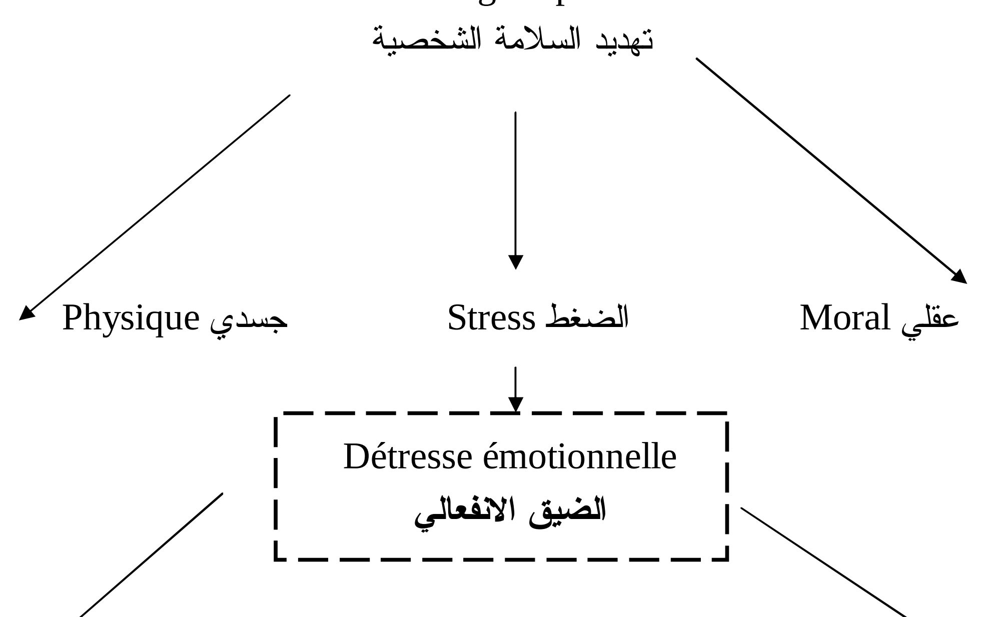
5 – وصف الخبرة الصدمية:

كيف يعيش الفرد الخبرة الصدمية ؟ هل تحدث فجأة أم تتطور مع الزمن ؟ هل كل حدث يمكن أن يكون بحد ذاته خبرة صدمية ؟ ما هي الشروط لكي يتحول الحدث إلى صدمة نفسية؟ هل كل الأفراد هم ضحايا بنفس الدرجة ؟ متى وكيف نصنف الأشخاص إلى ضحايا؟ متى يمكن أن نتحدث عن الصدمة النفسية ؟... وغيرها من الأسئلة.

لذلك حاولنا أن نستعين ببعض النماذج التفسيرية التي أجابت على بعض هذه التساؤلات وهي على النحو التالي:

Schéma N°1
التصميم1

Détresse
الضيق
E . T . M
الحدث الصدمي الأكبر
Menace intégrité personnelle
تهديد السلامة الشخصية



Détresse primaire
(pendant l'expérience traumatique)

Menace de danger
تهديد بالخطر: الصحة، الأمن، السلامة

Détresse secondaire
(après l'expérience traumatique)

Vécu de perturbation
Post-traumatiques
معاش مضطرب بعد الصدمي

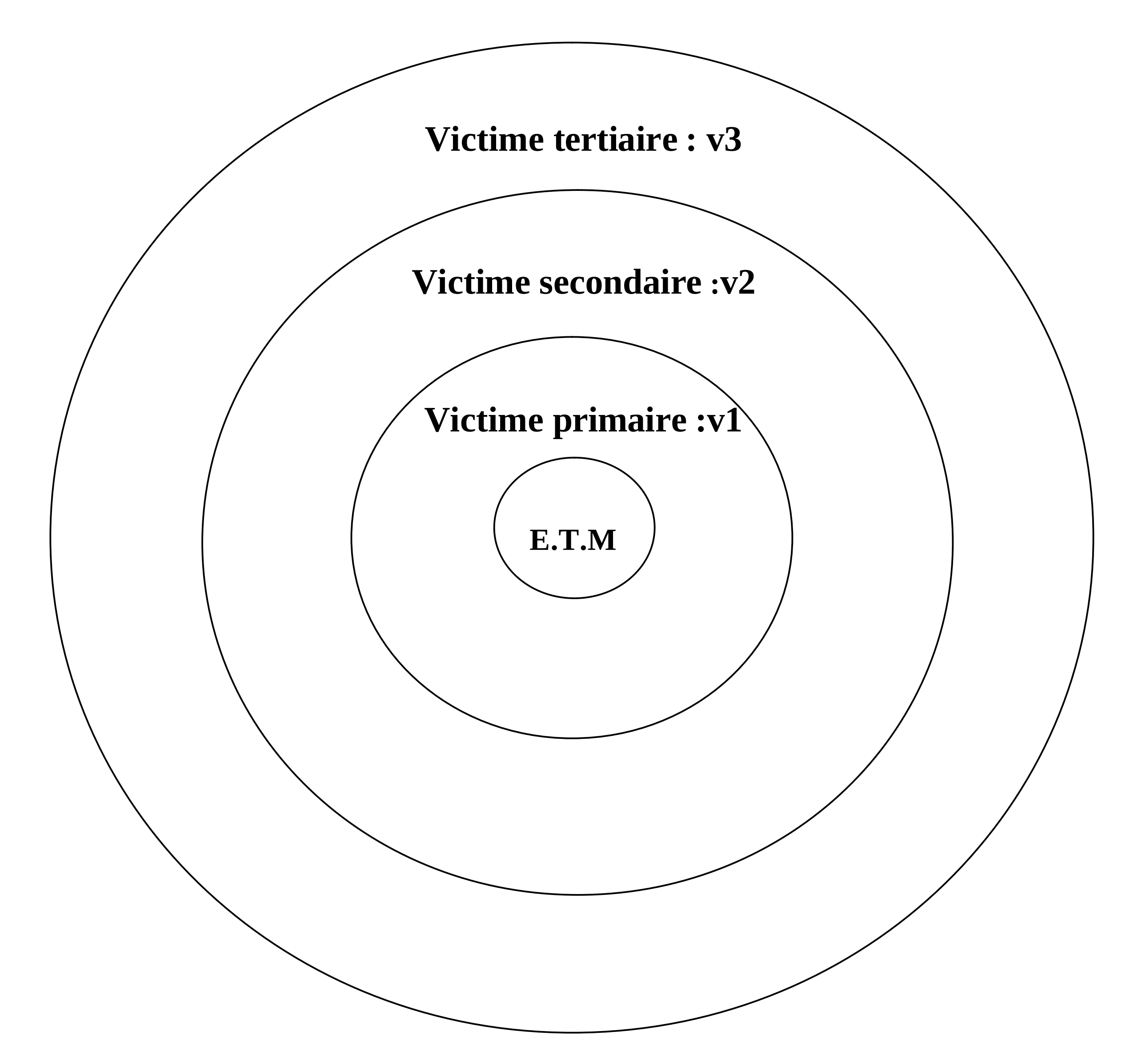
التعليق على النموذج الأول :

يبين الشكل الأول أنه في حالة تعرض الفرد للخبرة الصدمية بدرجة كبيرة فإنـــه يشـــعر أولا بالتهديد في وحدة وجوده وسلامته الشخصية من الناحية الجسدية وكذا الناحية العقلية مما يؤدي إلـــى حالة من الضغط العالي تصل إلى مرحلة الضيق الانفعالي الذي ينقسم بدوره إلى قسمين:

1 – الضيق الأولي: ويكون خلال التجربة الصدمية على شكل اضطرابات انفعالية حادة تؤثر على صحة وسلامة الشخص.

2 – الضيق الثانوي: وتكون بعد التجربة على شكل معاش مؤلم بعد الصدمة.

Schéma N 02
التصميم الثاني



Noyau traumatique

نواة الصدمة

التعليق على النموذج الثاني :

يمثل هذا النموذج البياني أن مستوى تضرر الأفراد من الحدث الصدمي ليس متساويا مما يؤدي إلى تصنيفهم إلى عدة فئات:

1 – الضحية الأولية: وهي كل فرد تعرض للصدمة النفسية مباشرة.

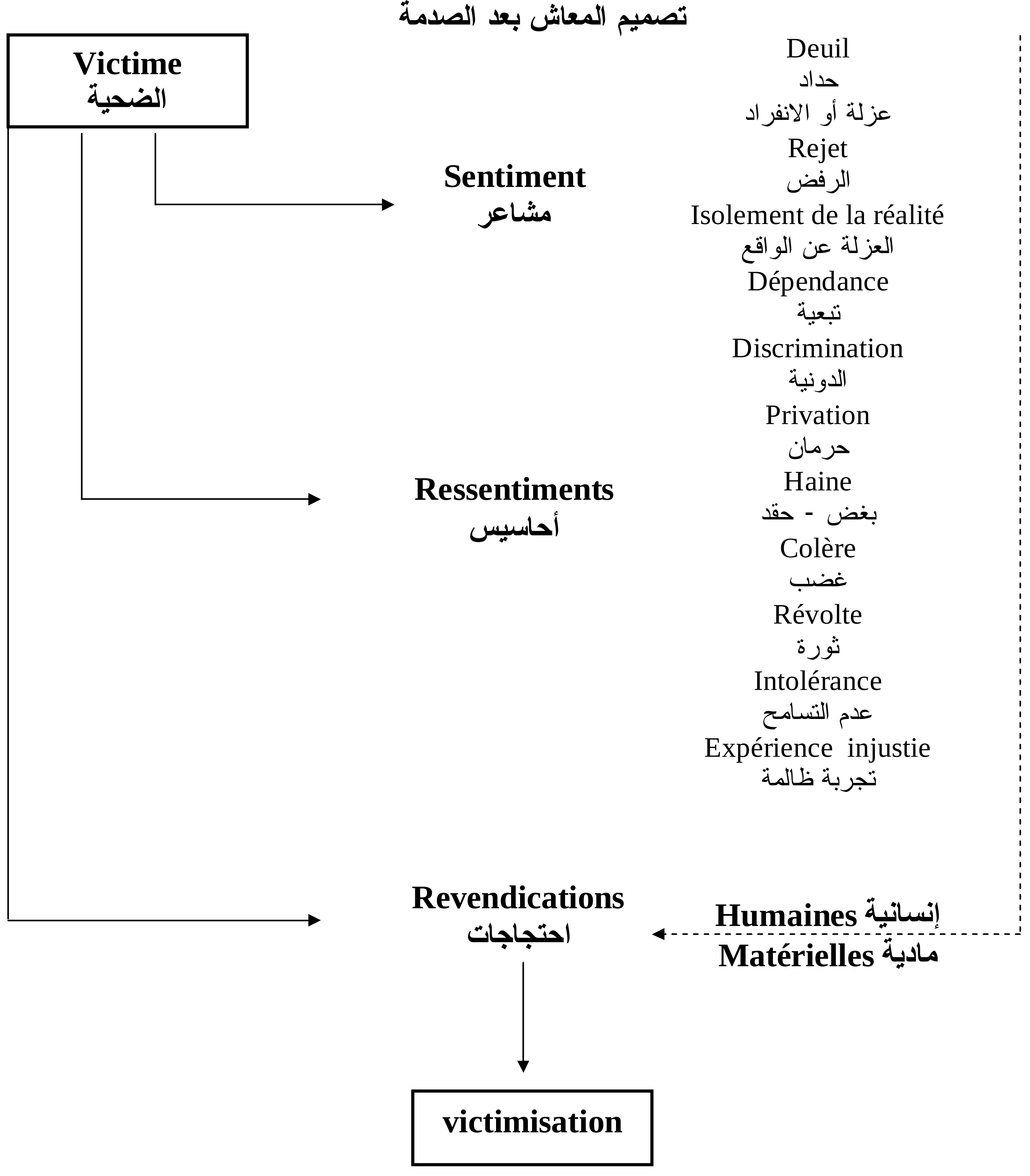
2 – الضحية الثانوية:وهي تمثل كل فرد له علاقة قرابة مع الضحية، مثل أفراد العائلة.

3 – الضحية الثالثية: وتمثل المتدخلين والمنقذين مثل المجتمع مثلا.

وفي حالة الكارثة تقسم فئات الضحايا حسب القرب أو البعد عن مركز وقوع الكارثة.

Schéma n° 3
التصميم 3

Schéma de vécu post traumatique
تصميم المعاش بعد الصدمة



التعليق على النموذج الثالث :

يمثل هذا البيان تطور المعاش النفسي للضحية بعد الصدمة، حيث تتملكها أولا مشاعر تتمثل في الحداد والعزلة عن الأفراد والوحدة والرفض وبالتالي الإحساس بالتبعية. تتطور فيما بعد إلى مشاعر البغض والغضب وعدم التسامح وذلك للإحساس الجارف بالظلم يؤدي إلى معاش احتجاجي، مما ينجم عنه مطالب بالتعويض الخاص بالخسائر المادية والبشرية محاولة لتحقيق العدل.

1- عرض و التعليق على النتائج العامة:

1-1- عرض والتعليق على النتائج العامة للمحور الأول:

يتركز هذا المحور حول المعلومات العامة التي يعرفها الطلبة الجامعيين حول الكوارث الطبيعية، ويضم الأسئلة ذات الأرقام التالية: 5، 6، 7، 8، 27. كما نحاول من خلاله التعرف على مصادر المعرفة حول الكارثة الطبيعية الأكثر استعمالا من طرف الطلبة، من خلال السؤال 30 ويحتوي على ستة بنود. مما يعطي صورة واضحة عن نوع الثقافة السائدة بين الطلبة حول الكوارث الطبيعية.

السؤال رقم 5: ما هي الكلمة أو مجموعة الكلمات التي تتبادر إلى ذهنك عند سماع كلمة "كارثة" ؟

وبما أن صيغة السؤال مفتوحة فلقد حصلنا على أجوبة متعددة في شكل كلمات أو جمل قصيرة، جمعناها في فئات حسب ما تتمحور حوله معانيها، فكانت كالتالي:

- نتائج الحدث المادية مثال على ذلك كلمات: دمار، خراب، خسائر...الخ
- نتائج الحدث علىالإنسان وما ينتابه من حالات جسدية أو نفسية مثال على ذلك كلمات:هلع، خوف، جراح، فراق....الخ
- العبارات ذات محتوى ديني صريح مثال على ذلك كلمات: لا حول ولا قوة إلا بالله، لأنا لله وإنا إليه راجعون، الخوف من الله، التوبة من المعاصي...الخ

فئة الكلمات	العدد	النسبة المئوية
الحدث	52	%28.7
الإنسان	84	%46.4
الدين	40	%22.1
بدون إجابة	5	%2.8
المجموع	181	%100

الجدول رقم 1: عرض النتائج العامة للإجابات على السؤال 05.

من هذا الجدول يتوضح لنا أن غالبية الكلمات أو العبارات التي أجاب بها الطلبة – التي تخطر ببالهم عند سماع كلمة كارثة- تمحورت حول نتائج الكوارث الطبيعية على الإنسان ب 84 إجابة بنسبة 46.4% تليها عدد الإجابات المتمحورة حول النتائج المادية الحدث ب 52 إجابة أي بنسبة 28.7% ثم تتبعها بنسبة متقاربة الإجابات المتمحورة حول الإجابات ذات المعنى الديني ب 40 أي نسبة 22.1 %. أي أن أفكار الطلبة حول الكوارث الطبيعية في أغلبها تركز على آثارها على الإنسان.

السؤال رقم6: ما هي أنواع الكوارث الطبيعية التي تعرفها ؟

و بما أن السؤال مفتوح و الإجابة على شكل تعداد لأنواع الكوارث التي يعرفها الفرد، ولقد صنفنا هذه الإجابات على شكل فئات الإجابات على شكل فئات على النحويين التاليين:

أ- عدد الكوارث المذكورة في الإجابة.

ب-تواتر-عدد المرات- ذكر نوع الكارثة الطبيعية في كل الإجابات.

أ- عدد الكوارث المذكورة في الإجابة.

عدد الأنواع المذكورة	العدد	النسبة المئوية
02	31	%17.1
03	76	%42.1
04	48	%26.5
05	18	%9.9
06	08	%4.4
المجموع	181	%100

الجدول رقم 2: عرض النتائج العامة على السؤال 06 (أ).

نلاحظ من هذا الجدول أن أكبر نسبة من إجابات الطلبة احتوت 03 أنواع من الكوارث الطبيعية بعدد 76 إجابة ما يعادل نسبة 42.1% ، بينما جاء تعداد 04 أنواع من الكوارث الطبيعية في إجابة 48 طالبا ما يعادل نسبة 26.5% ، و18 طالبا ما يعادل نسبة 9.9% عددوا في إجاباتهم 05 أنواع و08 طلبة ما يعادل نسبة 4.4% عددوا 06 أنواع من الكوارث، في حين ذكر 31 طالبا ما يعادل نسبة 17.1% 02 نوعين. معظم الطلبة عددوا في بين 03 و04 أنواع من الكوارث طبيعية في إجابتهم.

ب -تواتر -عدد المرات - ذكر نوع الكارثة الطبيعية في كل الإجابات.

نوع الكارثة	العدد	النسبة المئوية
الزلزال	181	%100
الفيضان	125	%69
البركان	110	%60.7
الإعصار	99	%54.6
الجفاف	74	%40.8
الانزلاق	31	%17.2

الجدول رقم3: عرض النتائج العامة حول السؤال 06(ب).

برزت في هذا الجدول كارثة الزلزال الطبيعية في كل الإجابات: 181 مرة أي 100% من عدد الإجابات الكلي تليه كارثة الفيضان 125 مرة-69% من مجمل الإجابات، ثمّ البركان 110 مرة-60.7% فالإعصار 99 مرة-54.6% لتأتي كارثة الجفاف 74 مرة 40.8% و أخيرا كارثة الانزلاق 31 مرة-17.2% من عدد الإجابات، وبذلك تكون كارثة الزلزال هي الأكثر ذكرا من طرف الطلبة.

السؤال رقم 7-ماهي أهم كارثة طبيعية بالنسبة إليك ؟

أهم كارثة	العدد	النسبة المئوية
الزلزال	139	%76.7
الفيضان	27	%14.9
البركان	07	%3.9
الإعصار	02	%1.1
الجفاف	02	%1.1
الانزلاق	01	%0.55
بدون إجابة	03	%1.7
مجموع	181	%100

الجدول رقم 4: عرض النتائج العامة حول السؤال 07.

نلاحظ من الجدول أن الزلزال هو أهم كارثة طبيعية لدى معظم الطلبة -139 طالب أي بنسبة 76.6%- يليه بفارق كبير الفيضان بعدد إجابات 27 بنسبة 14.9% ثم البركان بعدد إجابات 07 بنسبة 3.9%، ثم الإعصار بعدد إجابات 02 بنسبة 1.1% ونفس النتيجة بالنسبة للجفاف و بالنسبة لكارثة الانزلاق 01 إجابة واحدة بينما كان عدد الامتناع عن الإجابة 03 بنسبة 1.7%. و من هنا نلاحظ أن أهم كارثة طبيعية عند أغلب الطلبة هي الزلزال، وهذا موافق لترتيب الكوارث الطبيعية من حيث التواتر -عدد المرات- (الجدول الثالث).

السؤال رقم 8-لماذا ؟

و في الإجابة عن السؤال الحر عن سبب أهمية الكارثة الطبيعية المختارة كانت الأجوبة في شكل فئات كالتالي:

سبب أهمية	عدد	النسبة المئوية
الأخطر	115	%63.5
تمس الجزائر	36	%19.5
الأكثر فجائية	23	%12.7
بدون إجابة	7	%3.9
مجموع	181	%100

الجدول رقم 5: عرض النتائج العامة حول السؤال 08.

حسب الجدول فقد أجاب 115 طالبا بنسبة 63.5% أن سبب اختيار الكارثة الطبيعية حسب الأهمية كونها الأخطر، و36 منهم أي بنسبة 19.5% اعتبروا أن أهم الكارثة بنسبة إليهم هي التي تمس الجزائر، بينما 23 طالبا بنسبة 12.7% أجابوا بأن الكارثة الأكثر فجائية هي الأهم بالنسبة لهم، كما نلاحظ أن 07 طالب بنسبة 3.9 امتنعوا عن الإجابة. و بالتالي فإن درجة خطورة الكارثة الطبيعية هي المحددة لأهميتها بالنسبة لمجمل الطلبة.

السؤال رقم27- ما الذي يؤثر أكثر على نتائج الكارثة الطبيعية ؟

البنود	العدد	النسبة المئوية
شدة الكارثة	27	%14.9
الظروف قبل الكارثة	70	%38.6
تكفل بعد الكارثة	84	%46.4
المجموع	181	%100

الجدول رقم 6: عرض النتائج العامة حول السؤال27

من هذا الجدول نلاحظ أن 84 طالبا بنسبة 46.4% يرون أن ظروف التكفل بعد الكارثة هي الأكثر تأثيرا و 70 طالبا بنسبة 38.6%يرون أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية هي العامل الأكثر تأثيرا في نتائج الكارثة الطبيعية، بينما يرى 27 طالبا بنسبة 14.9% أن شدة الكارثة هي الأكثر تأثيرا على النتائج. يرجح الطلبة أن العوامل البشرية-ظروف ما قبل الكارثة الطبيعية وظروف التكفل بعدها- أكثر تأثيرا في نتائج الكارثة من العامل الإلهي- شدة الكارثة نفسها-.

السؤال 30: من أين استسقيت معلوماتك حول الكارثة الطبيعية:

البنود	نعم	لا	المجموع
كتب	69 %38.9	112 %61.9	181 %100
الصحافة المكتوبة	50 %27.2	131 %72.4	181 %100
تلفزيون	146 %80.7	35 %19.3	181 %100
المصادر الدينية	96 %53	85 %47	181 %100
المصادر الاجتماعية	57 %31.5	124 %68.5	181 %100
الانترنيت	28 %15.5	153 %84.5	181 %100

الجدول رقم 7:عرض النتائج العامة للإجابات على السؤال30.

نلاحظ من الجدول أن النسبة الغالبة من العينة أجابت بنعم على البندين ج ود بنسبة 80.7% مقابل 19.3% للتلفزيون و نسبة 53% مقابل 47% للمصادر الدينية وبالتالي فإن المصدرين الأساسين للمعلومات حول الكوارث الطبيعية الأكثر استعمالا من طرف الطلبة هما التلفزيون خاصة وبصفة أقل المصادر الدينية بينما الإجابة ب لا كانت غالبة في باقي البنود بحيث:

38.1% نعم مقابل 61.9% لا لبند الكتب

27.6% نعم مقابل 72.4% لا لبند الصحافة المكتوبة

31.5% نعم مقابل 68.5% لا لبند المصادر الاجتماعية

15.5% نعم مقابل 84.5% لا لبند الانترنيت.

مما يجعل ترتيب مصادر المعلومات حول الكوارث الطبيعية حسب كثرة استعمالها من طرف الطلبة كالتالي:

1. التلفزيون
2. المصادر الدينية
3. الكتب
4. المصادر الاجتماعية
5. الصحافة المكتوبة
6. الانترنيت

مناقشة النتائج العامة للمحور الأول:

اتضح من الإجابات أن أول شيء يخطر ببال أغلب الطلبة عند التفكير بالكارثة الطبيعية هو نتائج الكارثة الطبيعية على الإنسان والخطر الذي يتعرض إليه والأضرار الجسدية والنفسية التي تلحق به وذلك ناتج زيادة عن كون ذكر الكارثة –وماشابهها من أحداث صدمية- يحي كل الهوامات النائمة حول الموت لتتجسد في متتالية الأحداث(Bailly ص 38) هناك عملية نفسية تحدث كرد فعل عند مواجهة رؤية أناس يتعرضون للعنف أو الخطر وهي التقمص بالضحايا Identification aux victimes والتـــــي ذكرها لوي كزوك في موضوع الوقع الانفعالي للمشاهد والصــور– حــــقيقية أو تلفزيونية- لضحايا الحروب والكوارث و...والذي يبدأ بأحاسيس تضامن والمشاركة الوجدانية ليصل إلى حد التقمص بالضحايا. وهذه العملية حسب كروك دائما تشكل عائقا مهما عند التدخل للإغاثة حيث تحدث عند بعض المتدخلين في أماكن الإغاثة مع ما يحصلون عليه من تدريبات مسبقة حول الانفصال النفسي عن الضحايا (L. Crocq 1989ص 415).

و عن التواتر والأهمية فإن أهم كارثة طبيعية و الأكثر ذكرا بالنسبة للطلبة هي كارثة الزلزال ثم كارثة الفيضان لتأتي كارثة البركان فكارثة الإعصار مع فارق كبير جدا بين الكارثتين الأوليتين والثانيتين. وهذا الترتيب ناتج عن: أن الزلزال والفيضان هما كارثتان الأكثر وقوعا في تاريخ الجزائر الحــــــديث وآخر كارثتان وقعتا في الجزائر (زلزال بومرداس 2003، وفيضانات باب الواد 2001).وبالتالي اختزال الكوارث الطبيعية في كارثتي الزلزال والفيضان وخاصة كارثة الزلزال وسبب هذا الاختزال هو خاصية من خصائص التصورات الاجتماعية والتي تشترك فيها مع التفكير

الطفولي حسب لوي كروك وهي خاصية التعميم أي تعميم جزء من الموضوع ليصبح الموضوع نفسه (Crocq ص)

أما عن المعرفة العامة فإن تعداد أنواع الكوارث كان أغلبه بذكر 03 أنواع أو 04 أنواع اثنين منهما غالبا هما الزلزال والفيضان، ثم 02 نوعين بينما كانت نسبة الإجابات بتعداد05 أنواع و 06 أنواع قليلة مقارنة بغيرها وهذا راجع يمكننا القول بأن المعلومات أو المعرفة الأكثر رواجا بين الطلبة حول موضوع الكوارث الطبيعية تعتمد على الثقافة التلفزيونية بصفة خاصة تليها الثقافة الدينية ليأتي الكتاب في المرتبة الثالثة والانترنيت في المرتبة الأخيرة- حسب الإجابات عن السؤال رقم 30- وهما الوسيلتين اللتان كان يفترض أن تكونا الأكثر استعمالا حسب خصائص عينة الدراسة وبذلك فإن معرفة الطلبة حول الكوارث الطبيعية فيها الكثير من معرفة رجل الشارع.

أما عن سبب الأهمية فإن أغلب الطلاب أجاب بأن "مستوى الخطر" هو المحدد الأكبر لأهمية الكارثة الطبيعية وذلك بسبب اختزال الكوارث الطبيعية في الكارثة الزلزال- مستوى الخطر يعني درجة انعدام الأمن- وكما قال بايلي فإن في حالة الزلزال: "لايمكن ايجاد مكان يتوفر فيه مستوى من الأمان ويتحول المحيط الذي كان رمزا للاستقرار فجأة إلى مصدر كبير للخطر".

ثم يأتي بفارق كبير سبب ثاني للأهمية هو كونها "تمس الجزائر" (تمس المفحوص نفسه) وبعد ذلك سبب كون وقوعها "أكثر فجائية من غيرها" وغير قابل للتوقع وهي الإجابة الموضوعية لمن اختار الزلزال كأهم كارثة ويرجع هذا الترتيب إلى عملية التقمص دائما دون أسباب موضوعية للأهمية مثل الأكثر وقوعا في العالم أو الأكثر إحداثا للدمار والخسائر ...

ثم عن أكثر العوامل تأثيرا في نتائج الكارثة فإن "ظروف التكفل بعد الكارثة" كان العامل الأكثر اختيارا في إجابات الطلبة وذلك بسبب ما حدث بعد آخر كارثتين (باب الواد و بومرداس) في

الجزائر والتأخر في عودة الضحايا إلى الحياة العادية لفترة طويلة، ثم يليها عامل "الظروف الاجتماعية والاقتصادية قبل وقوع الكارثة" وربط ذلك عموما بمؤسسات الدولة وذلك أيضا مثلما حدث في بومرداس من خسائر مادية وبشرية بسبب الغش في المباني، أما عامل "شدة الكارثة" نفسها فقد جاءت نسبة الإجابات عنها ضعيفة جدا مقارنة بغيرها ومن ذلك نلمس أن العوامل المؤثرة في نتائج الكارثة ليست العوامل المباشرة بل الغير مباشرة، أي أن سوء نتائج الكارثة لا يكون بسبب الكارثة الطبيعية نفسها -أي الإرادة الإلهية- بقدر ما هو بسبب الإنسان المسئول عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية السابقة للكارثة وظروف التكفل بعد الكارثة. حسب بايلي L.Bailly فإن خصوصية الوضعية في حالة الكوارث الطبيعية تكمن في أن الأفراد لا يستطيعون توجيه اللوم وردود أفعالهم العدوانية إلى جهة معينة في البداية لأن سبب الكارثة المباشر ليس أفعال بشرية بل اختلال في التوازن والاستقرار الطبيعي- الإلهي- الذي كان يبدو دائما ومستمرا وغير قابل للاهتزاز، لكن هذا العدوان –خاصة عند الناجيين من الكوارث الطبيعية- يتجه في مرحلة لاحقة نحو مجموعة بشرية معينة : تأخر فرق التدخل و الإنقاذ ،عدم كفاءة المنقذين ،نقص الوسائل، عدم رقابة الإدارة ،هشاشة البنايات، قصور الدور الإعلامي...وبذلك يتم إرجاع الحدث إلى البعد البشري القابل للتحكم. مثال على ذلك دراسة لدونابديان D.Donabédian 1994 (Bailly ص 96) وهي رد فعل بعض الأرمن بعد زلزال 1988 "الذين أرجعوا سبب الزلزال إلى انفجار نووي تحت الأرض قام به السوفيات ضدهم لقمعهم لرغبتهم في الاستقلال عن الاتحاد السوفياتي" وذلك باعتماد تفسير: الحدث مدمر – السوفيات يريدون إيذاءنا- إذن السوفيات هم الذين تسببوا في وقوع هذا الحدث.

1-2-عرض والتعليق على النتائج العامة المحور الثاني:

المحور الثاني : و يخص تصور ما قبل الكارثة و يضم الأسئلة 09 ،10، 11 ،12، 13،

نحاول في هذا المحور أن نكشف عن تصور الطلبة لإمكانية توقع و أخذ الاحتياطات لمواجهة الكارثة.

السؤال رقم9- هل توجد إشارات تسبق الكوارث الطبيعية ؟

البنود	العدد	النسبة المئوية
نعم	175	%96.6
لا	06	%3.3
المجموع	181	%100

الجدول رقم 8: عرض النتائج العامة حول السؤال رقم 09.

نلاحظ من خلال الجدول أن غالبية الطلبة وعددهم 165 بنسبة 91.2% يرون أن هناك إشارات تسبق الكوارث الطبيعية بينما 16 طالبا نسبة 8.8% لا يرون لهذه الإشارات وجود.

السؤال رقم10- من يستطيع التعرف على هذه الإشارات ؟

البنود	نعم	لا	المجموع
أشخاص لديهم حاسة سادسة	15 %8.3	166 %91.7	181 %100
الطلبة، الشوافات والمنجمين	4 %27.2	177 %97.8	181 %100
بعض الحيوانات	82 %45.3	99 %54.7	181 %100
هيئات علمية متخصصة	119 %65.7	62 %34.3	181 %100

الجدول رقم 9: عرض النتائج العامة حول السؤال رقم10

حسب الجدول فإن النسبة الكبيرة من الطلبة يرون تمكن الهيئات العلمية المتخصصة من التعرف على إشارات الكوارث الطبيعية، 65.7% أجابوا بنعم مقابل أجاب 34.3% منهم بلا على نفس البند. ببنما لا يعتبرون أن لأصحاب الحاسة السادسة -91.7% - ولا للعرافين والشوافات - 97.8% -القدرة على التعرف على الإشارات السابقة للكوارث الطبيعية.

وتقاربت نسبة الإجابات بين الطلاب حسب الجدول 45.3% نعم مقابل 54.3% لا حول تمكن الحيوانات من التعرف على إشارات الكوارث الطبيعية.

السؤال رقم11- هل يمكن أخذ الاحتياطات لمواجهة الكارثة الطبيعية ؟

البنود	العدد	النسبة المئوية
نعم	170	%93.9
لا	11	%6,1
المجموع	181	%100

الجدول رقم 10: عرض النتائج العامة حول السؤال رقم11.

يرى معظم الطلاب 170 أي بنسبة 93.9% إمكانية أخذ الإحتياطات لمواجهة الكوارث الطبيعية بينما يرى 11 طالبا أي بنسبة 6.1% عدم إمكانية ذلك.

السؤال رقم12- من عليه أخذ الاحتياطات ؟

البنود	العدد	النسبة المئوية
المواطنين	10	%5.6
مؤسسات الدولة	5	%2.8
كلاهما	157	%86.6
بدون إجابة	9	%5.0
المجموع	181	%100

الجدول رقم 11: عرض النتائج العامة حول السؤال رقم12

من الجدول يتضح أنه أجاب معظم الطلاب 157 طالبا أي بنسبة 86.6% بأن أخذ الإحتياطات يقع على المواطنين ومؤسسات الدولة معا، بينما أجاب 05 منهم أي 2.8% أن ذلك على مؤسسات الدولة و10 طلبة أي 5.6% على المواطنين، كما أن 9 طلبة أي 5.0 % لم يجيبوا على هذا السؤال.

السؤال رقم13- رتب الأنواع التالية من الاحتياطات حسب الأولوية من وجهة نظرك

البنود	العدد	النسبة المئوية
المأوى	8	%4.4
الغذاء	7	%3.9
الدواء	9	%5.0
إعلام السكان	83	%45.9
برامج تدريبية	68	%37.6
الهروب	6	%3.4
المجموع	181	%100

الجدول رقم 12: عرض النتائج العامة حول السؤال رقم 13

من خلال هذا السؤال أردنا التعرف على أولويات الاحتياط عند الطلاب فأخذنا أول إجابة بنسبة لكل طالب. أجاب 83 منهم بنسبة 45.9% أن إعلام السكان هو أهم احتياط ثم 68 بنسبة37.6% البرامج التدريبية ثم نسب إجابات ضعيفة ب 9 إجابات بنسبة 5.0% الدواء ثم 8 إجابات بنسبة4.4%المأوى ثم 7إجابات بنسبة3.9% الغذاء ثم 6 بنسبة 3.4% الهروب كآخر احتياط.

مناقشة النتائج العامة للمحور الثاني:

في حين أن غالبية الطلاب قد اتفقوا على وجود إشارات تسبق الكوارث الطبيعية حيث منهم 165 بنسبة 91.2% يرون ذلك مقابل 16 طالبا نسبة 8.8% لا يرون لهذه الإشارات وجودا، فقد اختلفوا في من يستطيع التعرف على هذه الإشارات.

تساوت نسبة الإجابات بين الإيجاب والنفي عند أغلب الطلبة حول تمكن الحيوانات من التعرف على إشارات الكوارث الطبيعية حسب الجدول 45.3% نعم 82 طالبا مقابل 54.3% لا 99 طالبا بسبب أن هذا البند له شقين متقابلين الأول ثقافي تقليدي وآخر علمي بحت فمثلا ثقافيا: يتشاءم الناس من البوم لأنه مجرد سماع صوته يجلب المصائب، كما أنه في بعض مناطق الجنوب يبعد الكلب إذا أحدث صوتا قريبا من العواء وقد يصل الأمر إلى قتله لأن ذلك دليل أن صاحب البيت سيموت، بينما نجد في الجانب العلمي تفسيرا آخر وذلك أن المجال الحسي للحيواتات أكبر من المجال الحسي للإنسان مثلا لا يستطيع الإنسان أن يبصر في المجالي الأشعة فوق البنفسجية أو تحت الحمراء تستطيع بعض الحيوانات ذلك مما يجعلها مؤهلة لإستقبال إشارات من الطبيعية لا يستطيع الإنسان التعرف عليها.

مع أن الإجابة الموضوعية حول تمكن الهيئات العلمية المتخصصة من التعرف على إشارات الكوارث الطبيعية هي بالإيجاب حسب أهم خصائص المجموعة الاجتماعية –الطلبة- وهي العلمية scientificité مما يجعلها إجابة جالبة للتقدير Valorisante ، إلا أن نسبة معتبرة-34.3%- من الطلبة أجابوا بلا مقابل 65.7 % بنعم، وذلك بسبب اختزال الكوارث الطبيعية في كارثة الزلازل (كما ظهر في المحور السابق) والتي لا تزال غير قابلة للتوقع من طرف الهيئات العلمية المتخصصة.

أما فيما يخص استطاعة أصحاب الحاسة السادسة والعرافين والشوافات التعرف على إشارات الكوارث الطبيعية فإن إجابات الطلاب كانت بنسبة الكبيرة ب لا - 91.7% للحاسة السادسة و97.8% للعرافين والشوافات، و هو المتوقع حسب البيئة العلمية التي يتواجدون فيها إلا انه ظهرت نسبة ضعيفة لنعم 8.3% للحاسة السادسة و 2.2% للعرافين والشوافات وسبب هذا الظهور منحى وسائل الإعلام عامة و بصفة خاصة التليفزيون نحو هدا الاتجاه خاصة في ما يتعلق بالتنجيم فمع مطلع كل سنة تتطاعنا الفضائيات بتوقعات المنجمين حول كل مظاهر الحياة ومنها الكوارث الطبيعية، والفارق بين النسبتين هو وجود شبهة دينية في المنجمين أكبر من الحاسة السادسة. حيث أنه من أساسيات الإيمان في الدين الإسلامي أن لا أحد يعلم الغيب إلا الله.

رغم أن أغلبية الطلاب 93.9 % يرون بإمكانية أخذ الإحتياطات لمواجهة الكارثة إلا أن وجود نسبة 6.1 % منهم يتصورن أن ذلك غير ممكن و ذلك بسبب ظاهرة الانبهار (لوي كروك) بالقوة الطبيعية-الإلهية- الخارقة المتسببة في الكارثة والتي لا يستطيع لأحد مواجهتها ولا حتى توقعها إذ أن من مظاهر قوتها عنصر المفاجأة.

كما يتصورون أن مسؤولية ذلك تقع على كاهل كل من مؤسسات الدولة والمواطنين في آن واحد 82.9% وهو اتجاه تعاون وتفاعل إيجابي بين مؤسسات الدولة والمواطنين وهو اتجاه وسط بين اتجاه الإعتمادية أو الإتكالية - أن المسؤلية تقع على مؤسسات الدولة لوحدها 9.4%- واتجاه عدم الثقة في مؤسسات الدولة أو رفضها للإحساس بالإهمال Sentiment d'abondon من طرفها - بحيث تقع الاحتياطيات على المواطنين فقط 2.8 %-.وتفسر هذه النتائج ما تحصلنا عليه حول ترتيب أولويات الاحتياطيات الذي جاء في الإجابة عن السؤال رقم 13 فإن إعلام السكان والبرامج التدريبية مثلت الاحتياط الأكثر أهمية عند الطلبة 45.9% و37.6% وجاءت كل الاحتياطيات الأخرى

بنسب إجابة ضعيفة جدا مما يؤهل المواطنين إلى تحمل المسؤولية في وضعية الكارثة الطبيعية و يدل ذلك أيضا على أهمية العنصر البشري مقارنة بالمادي، و كذلك الإحساس بالمسؤولية من طرف المواطنين.

إذن فتصور الطلاب لهذا المحور هو أنه للكوارث الطبيعية إشارات سابقة لها يمكن للهيئات العلمية التعرف عليها تليها في ذلك بعض الحيوانات، وأنه على المواطنين بالتعاون مع مؤسسات الدولة في أخذ الاحتياطيات التي يكون على رأسها العنصر البشري.

1-3-عرض والتعليق على النتائج العامة المحور الثالث:

المحور الثالث: و يضم الأسئلة 14 ،15، 16 ، 17 ، 18 و يخص أسباب الكارثة حيث نلاحظ فيه بروز التصور الديني (بمفهوم الموروث الثقافي وليس العلمي).

السؤال رقم14- هل يوجد ارتفاع في عدد الكوارث الطبيعية ؟

البنود	العدد	النسبة المئوية
نعم	175	%96.7
لا	6	%3.3
المجموع	181	%100

الجدول رقم 13: عرض النتائج العامة حول السؤال رقم14

أجاب أغلب الطلاب وعددهم 175 أي بنسبة 96.7% بأن هناك ارتفاع في عدد الكوارث الطبيعية مقابل 6 من الطلاب أي نسبة 3,3 % نفوا ذلك.

السؤال رقم15 - هل سبب ارتفاع في عدد الكوارث الطبيعية هو:

البنود	العدد	النسبة المئوية
تغييرات طبيعية	20	%11.0
حكمة إلهية	45	%24.9
كلاهما	116	%64.1
المجموع	181	%100

الجدول رقم 14: عرض النتائج العامة حول السؤال رقم15

كانت الإجابات الغالبة 116 أي بنسبة 64.1% أن التغيرات الطبيعية والحكمة الإلهية سببا في ارتفاع عدد الكوارث الطبيعية، بينما اختار 45 طالبا أي بنسبة 24.9% بند الحكمة الإلهية وأختار 20 منهم أي نسبة 11.0% بند التغيرات الطبيعية. و بالتالي فإن الحكمة الإلهية -الإجابة الدينية-هي السبب في ارتفاع عدد الكوارث الطبيعية سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

السؤال رقم16- فيما تتمثل -التغيرات الطبيعية لكوكب الأرض- المسببة ارتفاع في عدد الكوارث الطبيعية ؟

البنود	نعم	لا	المجموع
تقارب القارات	65 %35.9	116 %64.1	181 %100
ثقب في طبقة الأوزون	78 %43.1	103 %56.9	181 %100
الزيادة الكبيرة في عدد سكان الأرض	20 %11.0	161 %89.0	181 %100
الاحتباس الحراري	79 %43.6	102 %56.4	181 %100

الجدول رقم 15: عرض النتائج العامة حول السؤال رقم16

نلاحظ من الجدول أن المنحى الغالب في كل الإجابات على كل البنود هو الإجابة بلا، وبالتالي فإن معظم الطلبة لا يرون في أي من الظواهر الطبيعية سببا في ارتفاع عدد الكوارث الطبيعية: تقارب القارات- 64.1% إجابة بلا- ثقب طبقة الأوزون -65.9%- زيادة عدد السكان -89.0%- الاحتباس الحراري-56.3%-.

السؤال رقم17 - فيما تتمثل –الحكمة الإلهية- المسببة ارتفاع في عدد الكوارث الطبيعية ؟

البنود	نعم	لا	المجموع
ابتلاء إيمان الناس	91 %50.3	90 %49.3	181 %100
إنذار إلهي	54 %29.8	127 %70.2	181 %100
عقاب إلهي	100 %55.2	81 %44.7	181 %100
علامة من علامات الفناء	47 %26.0	134 %74.0	181 %100

الجدول رقم 16: عرض النتائج العامة حول السؤال رقم17

بين كل البنود برز بند -عقاب من الله كسبب أول في ارتفاع عدد الكوارث الطبيعية، حيث أجاب 100 طالب أي 55.2% بنعم على هذا البند و81 أي 44.7%. وتساوت الإجابات تقريبا بين نعم و لا: 91 إجابة –50.3% من مجموع الطلبة- بنعم أن ابتلاء إيمان الناس سببا في ارتفاع عدد الكوارث الطبيعية، بينما 90 إجابة - 49.3% من مجموع الطلاب – بلا أن ابتلاء إيمان الناس ليس سببا في ارتفاع عدد الكوارث الطبيعية. بينما غلبت الإجابة بالسلب على البندين المتبقين: (70.2%) الإنذار الإلهي-(74.0%) علامة من علامات الفناء.

السؤال رقم18 - هل –الحكمة الإلهية- المسببة لكوارث الطبيعية تكون بسبب:

البنود	العدد	النسبة المئوية
كل الناس	21	%11.6
بعض الناس	153	%84.5
بدون إيجاب	7	%3.9

الجدول رقم 17: عرض النتائج العامة حول السؤال 18

يرى 153 طالبا وهي نسبة 84.5% من مجمل الطلبة أن بعض الناس هم المتسببين في وقوع الحكمة الإلهية لارتفاع عددا لكوارث الطبيعية، وهم حسب السؤال التوضيحي الإضافي من يتصفون بالمعصية والفسق والخروج عن أوامر الله -100% من الإجابات-. ويرى 21 منهم ونسبتهم 11.6% أن كل الناس متسببين في ذلك بينما فضل 7 من الطلبة أي نسبة 3.9% عدم الإجابة

مناقشة النتائج العامة للمحور الثالث:

يرى أغلب الطلبة أن هناك ارتفاع في عدد الكوارث الطبيعية وهو شيء حقيقي أثبتته الإحصائيات العلمية حسب تقارير مؤسسات الأمم المتحدة. وكذلك انقسم الطلبة حول أسباب هذا الارتفاع في عدد الكوارث الطبيعية بين الحكمة الإلهية والحكمة الإلهية مع التغييرات الطبيعية وكلاهما تفسير ديني ولكن الأول مباشر و صريح بينما الثاني غير مباشر ضمني وغير واضح واختارت نسبة قليلة 11.0% من الطلبة التغييرات الطبيعية لكوكب الأرض كسبب لارتفاع الكوارث الطبيعية وهو التفسير العلمي للظاهرة ونرى هنا جليا غلبة التفسير الديني.حيث يبرز عقاب الله للناس العصاة لأوامره حيث يقول بوحديبة:" إن الخياليL'imaginaire على وجه الخصوص لا يمكن فصله

عن البعد الديني، إن هناك علاقة أساسية بين الخيالي L'imaginaire والروحي. وأنه يمكننا القول أن الممارسات الدينية في الإسلام تحمل معانيها أساسا من المظهر الخيالي" (بوحديبة ص 48)

ويرى مالك شبل في دراسته الخيالي العربي-الإسلامي: " أن قناعات الفرد العربي المسلم هي تلك التي يسطرها له علماء الدين ، وعلى كل حال إن علاقة العربي بالمقدس أساسية بالغة الأهمية" (M.Chebel ص 371)

وفي مظاهر التغييرات الطبيعية لكوكب الأرض المتسببة في ارتفاع عدد الكوارث الطبيعية كانت معظم الإجابات بلا وذلك تماشيا مع الإجابات على السؤال السابق والذي اعتبرت بنسبة كبيرة التغييرات الطبيعية لكوكب الأرض ليست سببا في ارتفاع عدد الكوارث الطبيعية، أما نسب الاجابات بنعم فقد جاء فيها ترتيب هذه المظاهر كالتالي: 1- الاحتباس الحراري 2- ثقب طبقة الأوزون 3- تقارب القارات 4- زيادة عدد سكان الأرض.

أما في تجليات حكمة الله في ارتفاع عدد الكوارث الطبيعية فقد كانت الإجابة الأكثر اختيار من الطلبة هي أن عقاب الله هو السبب في ذلك في حين انقسم الطلبة بالتساوي تقريبا حول ما إذا كان ابتلاء إيمان الناس هو مظهر أو تجلي الحكمة الإلهية المتسببة في ارتفاع عدد الكوارث الطبيعية، بينما كانت غالبية أجوبة الطلبة ترجح لا على باقي البنود والتي كان ترتيبها كالتالي: الإنذار الإلهي ثمّ علامة من علامات الفناء.

كما جاءت إجابات الطلبة على المتسبب في ظهور الحكمة الإلهية والتي هي في أغلب الإجابات العقاب من الله أن بعض الناس هم المتسببون في ذلك مع ظهور عدد امتناع عن الإجابة يدل على القلق، وفي السؤال الجانبي حول تحديد هؤلاء الناس كان كل الإجابات تصفهم بالمعصية والفسوق والفساد الأخلاقي وذلك بسبب ما أسمته كلودين هيرزليش C.Herzlich.في دراستها حول

"التصور الاجتماعي للمرض" بالتقابل المضاعف بين الصحة والمرض وبين الفرد والمجتمع: "... إن الفرد يحاول أن يفرق بينه وبين المجتمع العدواني ومن هنا يؤكد عدم مشاركته في المرض ...فسبب المرض : المجتمع، طريقة الحياة المتبعة...إذ أن تبرئته هي اتهام... وبالتالي فإن المعنى العام للتصور يكمن في رفض تحمل المسؤولية في حدوث المرض" (Seca ص **45**)

1-4-عرض والتعليق على النتائج العامة المحور الرابع:

المحور الرابع: يدور محتواه حول الموت خلال الكارثة و يضم الأسئلة 19 ،20 ، 21 ،22

السؤال رقم19- هل الموت بسبب الكارثة الطبيعية يختلف عن الموت بسبب آخر؟

البنود	العدد	النسبة المئوية
لا	48	%26.5
نعم	133	%73.5
المجموع	181	%100

الجدول رقم 18: عرض النتائج العامة حول السؤال 19

يرى غالبية الطلبة ونسبتهم 73.5% أي بعدد إجابات 133 بأن الموت في الكوارث الطبيعية يختلف عن الموت بسبب آخر مقابل 48 إجابة بنسبة 26.5% بأن الموت في الكارثة الطبيعية لا يختلف عن الموت بسبب آخر.

السؤال رقم20- لماذا ؟

البنود	العدد	النسبة المئوية
مفاجئ	49	%27.1
عدد الأموات	47	%26.0
الصراع الطويل	37	%20.4
بدون إجابة	48	%26.5
المجموع	181	%100

الجدول رقم 19: عرض النتائج العامة حول السؤال 20

سجل هذا السؤال أكبر نسبة امتناع عن الإجابة 48 أي 26.5% وهو ما يساوي تقريبا نسبة أعلى اختيار و هو بند –مفاجئ أكثر من الموت بسبب آخر- 49 أي نسبة27.1% يليه اختيار بند – عدد الأموات أكبر من الموت بسبب آخر-47 أي نسبة 26.0% ليأتي اختيار بند - الصراع الطويل مع الموت- في الأخير ب 37 إجابة أي بنسبة20.4%.

السؤال رقم21- يكون الحزن على شخص مات بسبب الكارثة الطبيعية

البنود	العدد	النسبة المئوية
أكبر	100	%55.2
نفس	61	%33.7
أقل	20	%11.0
المجموع	181	%100

الجدول رقم 20: عرض النتائج العامة حول السؤال 21

أجابت النسبة الأكبر من الطلبة بأن –الحزن على الميت في الكارثة الطبيعية أكبر من الحزن على الميت بسبب آخر-وهي نسبة 55.2% ما يعدل 100 إجابة بينما أجاب 61 طالبا أي بنسبة33.7% بأن- الحزن على الميت في الكارثة الطبيعية نفس الحزن على الميت بسبب آخر- واعتبر 20 طالبا - 11.0%- الحزن على الميت في الكارثة الطبيعية أقل الحزن على الميت بسبب آخر-

السؤال رقم22- عندما يموت شخص بسبب الكارثة الطبيعية هل يعتبر:

صفة الميت	العدد	النسبة المئوية
شهيد	74	%40.9
مسخوط	07	%3.9
ميت فقط	93	%51.4
دون إجابة	07	%3.9
المجموع	181	%100

الجدول رقم 21: عرض النتائج العامة حول السؤال 22

يرى أغلب الطلبة وهم 93 أي بنسبة 51.4% أن صفة الميت في الكوارث الطبيعية هي – مبت فقط- بينما أجاب 74 منهم أي بنسبة 40.9% أنه يعتبر–شهيد- واختار 07 منهم ما يعادل نسبة3.9% إجابة –مسخوط- وامتنع 07 -3.9% عن الإجابة.

مناقشة النتائج العامة للمحور الرابع:

يبرز في هذا المحور ملامح تصور الطلبة للموت في الكوارث الطبيعية حيث أنهم يرون بصفة غالبة أن الموت في الكارثة الطبيعية مختلف عن الموت بسبب آخر ويرجعون ذلك إلى أنه أكثر فجائية وهي إحدى الخاصيات المهمة للحدث الصدمي (فصل الصدمة النفسية) والتي تتصف بها غالبا الكوارث الطبيعية- بصفة خاصة الزلزال الذي يرمز إلى كل الكوارث الطبيعية حسب تصور الطلبة- أي السرعة الفائقة أو البغتة وعدم التحكم في الموقف وفقدان السيطرة على الأحداث هي التي تعطينا الإحساس أن الموت مفاجئ أكثر حيث أنه ليس أكثر مفاجأة من الموت بالسكتة القلبية كما أن الموت في كارثة الجفاف أو الأوبئة لا يكون مفاجئا. ثم أن السبب الثاني لاختلاف الموت في الكارثة عنه بسبب آخر هو كون عدد الأموات أكبر من الموت بسبب آخر هو السبب الأكثر موضوعية يليه سبب أن الموت في الكوارث الطبيعية أكثر عنفا منه بسبب آخر فيكون الصراع مع الموت أطول وهذا ليس دائما صحيحا فقد يكون الموت في الحوادث المنزلية (الحرائق أو انهيار البنايات...) أو حوادث الطرقات بنفس العنف والصراع معه مماثل وذلك أن العنف والصراع هي خصائص كارثة الزازال.

أما فيما يخص صفة الميت خلال الكارثة الطبيعية فيعتبره نسبة كبيرة من الطلبة 40.9% شهيد وهي إجابة دينية بحتة مقابل 51.4 % من الطلبة لإجابة-ميت فقط- وهي الإجابة الموضوعية وذلك بسبب تأثير التصور الديني (المحور السابق)

كما أنهم يرون أن الحزن على من مات في الكارثة الطبيعية يكون أكبر منه على من مات بسبب آخر، وهذا راجع لاعتبار أن الطريقة التي مات بها غير عادية فيصبح الحداد أطول بسبب أن الاإحساس بالذنب اتجاه الميت والمصاحب للحداد يكون أكبر ومعه إحساس كبير بالعجز والفشل لعدم التمكن من إنقاذ الميت (Montazami-Ramade in Psy §Psy)، وكذلك يتكلم كروك عن ذوبان

القصة الصدمية الشخصية في المأساة الجماعية في حالات الحروب والكوارث مما يجعل من حيز تعبيرنا عن الآلام الخاصة ضيق و عدم تمكننا من تجاوز الحدث لأنه لا نحس بملكيتنا له فيصبح الحداد مرتبطا بالحداد الجماعي فيكون أطول(1989L.Crocq ص 537).

1-5- عرض والتعليق على النتائج العامة المحور الخامس:

<u>**المحور الخامس :**</u> يتحدث عن تصور الحياة بعد الكارثة و يخص الأسئلة 23، 24، 25 ، 26.

السؤال رقم23- أي نتائج الكارثة الطبيعية نعتبرها أكثر ضررا ؟

البنود	العدد	النسبة المئوية
موتك	22	%12.2
فقدان أحد الأقارب	36	%19.9
إعاقة جسدية	66	%36.5
اضطراب نفسي	26	%14.4
فقدان السكن	2	%1.1
فقدان الموارد المالية	3	%1.7
تغيير مسار الحياة	26	%14.4
المجموع	181	%100

الجدول22: عرض النتائج العامة حول السؤال 23

نلاحظ من الجدول أن النسبة الغالبة من العينة 66 إجابة اختارت – بند إعاقة جسدية- بنسبة 36.5% تليها 36 إجابة لبند- فقدان أحد الأقارب- نسبة 19.9%، ثمّ 26 إجابة لبند- اضطراب نفسي -أي 14.4% وكذلك بند- تغيير مسار الحياة – ليأتي بند – موتك-بعدد إجابات 22 و نسبة12.2%، ليأتي في آخر الترتيب 03 إجابات أي 1.7% لبند- فقدان الموارد المالية - و 02 إجابتين أي 1.1% لبند - فقدان السكن -.

مما يجعل ترتيب أضرار نتائج الكوارث الطبيعية حسب أغلب الطلبة كالتالي:

1. إعاقة جسدية
2. فقدان أحد الأقارب
3. اضطراب نفسي و تغيير مسار الحياة
4. الموت –موتك-
5. فقدان الموارد المالية
6. فقدان السكن

السؤال رقم24- بعد نجاة شخص من الكارثة الطبيعية، كيف تكون تصرفاته الدينية ؟

البنود	العدد	النسبة المئوية
أكثر تدنيا	169	%93.4
أقل تدنيا	2	%1.1
لا تتغير	10	%5.5
المجموع	181	%100

الجدول رقم 23: عرض النتائج العامة حول السؤال 24

حسب الجدول فإن 169 طالبا أي ما يعادل نسبة 93.4% من الطلبة يرون أن الناج من الكارثة الطبيعية يصبح –أكثر تدينا- مقابل 02 طالبين فقط أجابا ب-اقل تدينا – أي نسبة 1.1% بينما يرى 10 من الطلاب أي نسبة 5.5% أن تصرفاته الدينية لا تتغير.

السؤال رقم 25- بعد نجاة شخص من الكارثة الطبيعية، كيف تكون علاقته مع الآخرين ؟

البنود	العدد	النسبة المئوية
أحسن مما كانت عليه	81	%44.8
أسوأ مما كانت عليه	85	%46.9
لا تتغير	15	%46.9
المجموع	181	%100

الجدول 24: عرض النتائج العامة حول السؤال 25

من الجدول نعرف أن نسبة الطلبة الذين يرون أن علاقة الناجي من الكوارث الطبيعية مع الآخرين تكون–أحسن مما كانت عليه- متقاربة مع نسبة الطلبة الذين أجابوا –أسوأ مما كانت عليه- 81 إجابة-44.8%مقابل 85إجابة-46.9%، في حين رأى 15 طالبا أي نسبة 46.9% أنها –لا تتغير-.

السؤال رقم26- بعد نجاة شخص من الكارثة الطبيعية، كيف تكون علاقته بالحياة ؟

البنود	العدد	النسبة المئوية
أكثر إقبالا على الحياة	74	%40.9
أقل إقبالا على الحياة	91	%50.3
لا تتغير	16	%8.8
المجموع	181	%100

الجدول رقم 25: عرض النتائج العامة حول السؤال 26

حول سؤال عن علاقة الناج من الكارثة الطبيعية مع الحياة وحسب الجدول فقد نال بند –أقل إقبالا على الحياة- أكبر قدر من الإجابات بعدد 91 ونسبة 50.3% مقابل 74 إجابة –أكثر إقبالا على الحياة-أي بنسبة 40.9% بينما يرى 16 طالبا-8.8% أن علاقة الناجي من الكارثة مع الحياة –لاتتغير-.

مناقشة النتائج العامة المحور الخامس:

يعتبر معظم الطلبة أن النتيجة الأكثر ضررا من نتائج الكوارث الطبيعية هي الإعاقة الجسدية نظرا لأن أغلب الطلبة-90.60%- هم في سن أقل من 23 سنة وهي تعتبر نهاية مرحلة المراهقة وتصورهم ناتج عن إشكالية الجسم و صورة الجسم عند المراهق والخوف من التشوهات أو التغييرات الجسدية. فحسب انزيو D.Anzieu تمثل صورة الجسم عند المراهق " سيرورة رمزية لتمثيل الحدود بحيث تلعب دور الغلاف الواقي والصورة الباعثة على الاستقرار image stabilisatrice ... خلال هذه العملية يكون الجسم -كموضوع استثمار ليبيدي- موضوعا غير قابل للمس أو للتغيير مهما كان

الثمن" (مارسيلي وبراكوني Marcelli et Barconnier ص 132)، نظرا للتغييرات السريعة والكثيرة التي تطرأ على جسم المراهق مع التغييرات الفيسيولوجية لعملية البلوغ وما يحيط بها من تغييرات نفسية -اجتماعية تظهر في فترة المراهقة الكثير من المشاكل المتعلقة بالجسم وصورته مثل: "خواف التشوهات الجسدية dysmorphophobies ونوبات حادة من توهم المرض bouffées hypocondriaques aigues وأحاسيس الغرابة المتوالية sentiments d'étrangeté".

يتصور الطلبة حياة الناجي من الكوارث الطبيعية أنها تصبح أكثر تدينا وهو تصور ديني محض حيث نجد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تتكلم على ضرورة توبة وإصلاح أعمال من نجا من الموت ومنح فرصة جديدة للحياة.

وفي نفس السياق يرون أنه يصبح أقل إقبالا على الحياة مما كان عليه من قبل وهو ما يسمى بالزهد وهو أيضا تفسير ديني وفي القرآن الكريم كثير من الآيات التي تنص على ذلك، كما يمكن أن يكون ذلك ناتج عن تصورهم أنه ستلازمه مخلفات الصدمة النفسية مما يجعله في حالة اكتئاب وإحساس بالذنب مزمن اتجاه من ماتوا تمنعه من التمتع والإقبال على الحياة. بينما انقسم الطلبة قسمين متساويين تقريبا في تصورهم أن علاقة الناجي من الكوارث الطبيعية بالآخرين، حيث يرى القسم الأول من الطلبة أن علاقته ستتحسن بهم بينما يرى القسم الآخر أنها سوف تسوء ربما لحالة الاكتئاب التي يعيشها أو لنقمته عليهم.

6-1- عرض والتعليق على النتائج العامة للمحور السادس:

يتمركزالمحور السادس حول الكوارث الطبيعية ووسائل الإعلام كتصور الطلبة لضرورة بت أو عدم بث أخبار الكارثة الطبيعية عبر وسائل الإعلام، واختيار بين وسائل الإعلام حسب انتمائها في حالة وقوع كارثة طبيعية في الجزائر و يتضمن سؤالين 28 و 29:

السؤال 28: عند وقوع كارثة طبيعية هل ترى أن:

البـــنـــود	العدد	النسبة المئوية
لا بد من بث...	170	% 93.9
لا داعي لبث...	11	% 6.1
المجموع	181	% 100

الجدول رقم 26: عرض النتائج العامة حول السؤال28.

نلاحظ من الجدول أن النسبة الغالبة من العينة تختار بث أخبار الكارثة الطبيعية عبر وسائل الإعلام و هي نسبة 93.9 % -170 إجابة- مقابل نسبة 6.1 % - 11 إجابة- يرفضون بث أخبار الكارثة الطبيعية عبر وسائل الإعلام، ربما يدل ذلك على رغبة في الإطلاع و الشفافية في التعرف على الأخبار.

السؤال 29: في حالة وقوع كارثة في الجزائر أي وسائل الاعلام تتابع أكثر:

البنود	العدد	النسبة المئوية
وطنية	122	% 87.3
غربية	23	% 12.7
عربية	33	% 18.2
بدون إجابة	03	% 1.7
المجموع	181	% 100

الجدول رقم 27: عرض النتائج العامة حول إجابات السؤال 29

نلاحظ في هذا الجدول أن أغلب الطلبة -87.3 % من العينة الكلية- يفضلون متابعة وسائل الأعلام الوطنية في حالة وقوع كارثة طبيعية في الجزائر، بينما انقسمت النسبة الباقية من العينة بين وسائل الإعلام الغربية والعربية مع ارتفاع نسبة المختارين للوسائل العربية بنسبة 18,2 % مقابل نسبة 12,7 % لوسائل الإعلام الغربية، وفضل 03 طلبة عدم الإجابة. وبالتالي فوسائل الإعلام الوطنية هي الأكثر متابعة من طرف الطلبة في حالة وقوع كارثة طبيعية في الجزائر.

مناقشة النتائج العامة للمحور السادس:

يرى معظم الطلبة ضرورة بث أخبار الكوارث الطبيعية عبر وسائل الإعلام وذلك بسبب رغبة في الإطلاع ومعرفة أخبار الكارثة الطبيعية ونتائجها، خاصة وأن الكارثة الطبيعية تعتبر حدثا استثنائيا ومثيرا نظرا لكونه مفاجئا وعنيفا ومهددا...إذ أن كل شخص ضمن سلوكياته اليومية المعتادة يخصص جزءا من سلوكه للبحث والحصول ومتابعة المعلومات –الأخبار- حول كل الأحداث وذلك

استجابة للرغبة في المعرفة ولعدم الإحساس بالعزلة و إمكانية التموقع بالنسبة لما يحدث حوله وذلك لإشباع حاجة نفسية وجدانية أكثر من مجرد حاجة أو رغبة أو حب استطلاع عقلي أو معرفي بحت، وهو ماعبر عنه (ل.كروك 1996ص 427) حينما تحدث عن الوقع الانفعالي بث أخبار وصور الكوارث الطبيعية والحروب عبر وسائل الإعلام حيث قال أنه لا اختيار لنا في متابعة أخبار الكوارث والحروب عبر وسائل الإعلام -رغم أن ما تحمله من معلومات وصور مؤلم لنا انفعاليا- لأن متابعتها تعتبر استجابة لما سماه " حاجة نفسية وجدانية عميقة للمعرفة بنفس قدر الحاجة إلى الأكل والشرب والتنفس وضرورة حيوية لعدم الإحساس بالعزلة وإدراك العلم من حولنا". وربما يكون الألم الانفعالي والقلق المصاحب لمتابعة أخبار الكارثة الطبيعية عبر وسائل الإعلام أقوى من هذه الرغبة وإحساس الحاجة عند الطلبة-نسبة ضعيفة- الذين فضلوا عدم بث أخبار الكوارث الطبيعية.

ويقول ل.كروك واصفا تلك الأخبار أو المعلومات المنقولة عبر وسائل الإعلام:" في الحقيقة إن هذه الأخبار لا تتجه إلى الجزء العقليIntellectuel والعقلاني Rationnel من نظام المعلومات لدى الشخص بل إلى الجزء الأكثر عاطفية من هذا النظام وهو الجزء الخيالي " (ل.كروك1996 ص 430). وهذا الجزء الخيالي بشقيه الخاص (من الخبرات الخاصة والتربية...) والجماعي (من التصورات الجماعية المتعلقة ب"نحن" الجماعة الوطن والثقافة) وبالتالي فإن كل حدث يهم المجتمع يفضل متابعته على وسائل إعلام وطنية وخاصة إذا كان في حجم الكارثة الطبيعية، ويؤكد أن" وسائل الإعلام تهدف الخيالي الجمعي على وجه الخصوص وما يتبعه من مخاوف ..." (ل.كروك1996 ص431).كما أن ترتيب وسائل الإعلام المتبعة في حالة وقوع كارثة في الجزائر 1- وطنية 2- عربية 3- الغربية يؤكد ما أوردناه من دور الأخبار في مساعدة الأفراد الذين يتبعونها في التموقع و التموضع اتجاه الأحداث،وفي اختيار صف من يرون العالم بطريقتنا و يشاركننا

الآراء والمشاعر والأحاسيس اتجاه ما يحيط بنا مما يمنحنا أحساس بالأمن والدعم. حيث أننا لا نتلقى فقط معلومات بل انفعالات أيضا وبقدر أكبر في حالة الأحداث المثيرة والمؤلمة مثل الكوارث الطبيعية خصوصا إذا كانت تمس مجتمعنا القريب.

كما أن الأخبار حول المآسي والآلام مهما كان ضحاياها تحدث عند متلقيها إحساسا بالتضامن والمشاركة الوجدانية ويزيد هذا الإحساس كلما كان الضحايا أقرب منّا، لذا يتم اختيار وسائل الإعلام الأقرب فالأقرب لأن الصحفي ناقل الخبر خاصة إذا كان في مكان حدوث المأساة أو يتحدث إلى الضحايا هو يتكلم على لسان المتلقي وخاصة على شاشة التليفزيون-صورة وصوت- (فالمشاهد أو المتلقي لا يقبل تعليقا على الأحداث مفرغ من العاطفة Inaffectif) (ل.كروك 1996 ص 438) لأن إلقاء الخبر وخاصة على شاشة التلفزيون يمثل عملية تفريغ وتحرير من القلق.

ملخص

إن استجاباتنا وردود أفعالنا الفردية والجماعية في مواجهة الكوارث الطبيعية تكون مختلفة، ففي حين أن بعض هذه الاستجابات يمكن أن تقلل من التأثيرات الناجمة وتساهم في زيادة التحكم في الحدث فإن بعضها الآخر يمكن أن يعقد الوضعية الناجمة ويزيد من أضرار ونتائج الكارثة.

ولترشيد هذه الاستجابات بتشجيع النوع الأول والوقاية من النوع الثاني يجدر بنا التعرف ودراسة أهم العوامل التي تحدد هذه الاستجابات وتوجهها، ومن بين هذه العوامل التصورات الاجتماعية للكوارث الطبيعية لكون التصورات تشكل خلفية لتفكيرنا ومرجعية لسلوكاتنا في مواجهة الكارثة كما في كل حياتنا.

وقد حاولنا من خلال هذه الدراسة الوصول إلى رسم ملامح التصور الاجتماعي للكارثة الطبيعية عند الطلبة الجزائريين بجامعة عنابة: أسبابها – أهم أضرارها – إمكانية توقعها – إمكانية التحكم بنتائجها – علاقة الإنسان بها – مدى تأثير المكون الديني والعلمي في بناء هذا التصور...مدى تأثير الفروقات بين الطلبة على تصوراتهم.

قمنا خلال بحثنا بتوزيع استمارات الدراسة على عينة من طلبة جامعة عنابة عددهم 181 طالب من الجنسين، موزعين على 4 تخصصات من السنوات الأولى والرابعة، وبعد تجميع البيانات عمدنا إلى تحليلها باستعمال التكرارات والاختبار اللابارامتري كا^2 عبر برنامج معلوماتي إحصائي EPI INFO V(6) عن طريق الحاسوب، ثم تحليل كيفي في ضوء النتائج الكمية والمعلومات النظرية.

من أهم النتائج التي وصلنا إليها أن جل الطلبة يميلون إلى اختزال الكوارث الطبيعية في كارثة الزلزال، وأن أهم ما يشغل تفكيرهم هو أضرار الكارثة ونتائجها على الإنسان.

أما عن علاقة الإنسان بالكارثة فقد بدت متناقضة تظهر مرة في شكل الاستسلام التام في ما يتعلق بأسباب الكوارث الطبيعية حيث يسيطر التصور الثقافي–الديني، ومرة بشكل المبادرة فيما يخص الوقاية من الكوارث حيث تظهر القيم النظرية. كما أن تصور الطلبة للموت أنه مختلف تماما في الكارثة الطبيعية عن الموت بسبب آخر وأن على الناجين من الموت في الكارثة أن يكونوا أكثر تدينا في مستقبل حياتهم.

أما عن مصادر المعلومات الأكثر استعمالا من طرف الطلبة حول الكارثة الطبيعية فقد كان التلفزيون هو الأهم تليه المصادر الدينية.

كما ظهر تشابه كبير في التصورات الاجتماعية للطلبة حول الكارثة الطبيعية مهما كان السن أو الجنس أو التخصص أو السنة التي يدرسون بها بسبب غلبة التصور الثقافي.

الكلمات الأساسية: التصورات الاجتماعية، الكوارث الطبيعية، الصدمة النفسية، الطلبة، جامعة عنابة.

Résumé:

Les catastrophes naturelles engendrent de multiples réactions individuelles et collectives différentes.

Certaines de ces réactions contribuent à minimiser les dégâts et renforcer le contrôle de la situation alors que d'autres peuvent bien aggraver et compliquer les conséquences.

Afin de pouvoir encourager le premier type de réactions et de prévenir le second type, nous avons à déceler et étudier les principaux facteurs qui déterminent et orientent ces réactions. Entre autre la représentation sociale de la catastrophe naturelle sachant que celle-ci alimente à la fois notre réflexion et nos comportements face à la catastrophe naturelle.

Cela nous a amené à procéder à la présente étude de la représentation social de la catastrophe naturelle chez les étudiants algériens de l'Université de Annaba: ses causes, les plus importants de ces conséquences, la possibilité de contrôler ou de minimiser les dégâts, la relation a la catastrophe, l'influence de la composante religieuse ainsi que la scientifique sur cette représentation.

Nous avons mené une enquête par questionnaire sur un échantillon de 181 étudiant de l'Université de Annaba des deux sexes répartis sur 4 spécialités entre première et quatrième année.

Après le recueil des données nous avons procédé à une analyse quantitative à l'aide d'un logiciel de statistique EPI Info V(6) ainsi qu'une analyse qualitative selon les résultats statistiques et les données théoriques.

Parmi les principaux résultats:

- les catastrophes naturelles se résument pour les étudiants au séisme, et les dégâts sur l'être humain sont les plus importants.
- Une certaine ambivalence est apparue dans la relation de l'homme à la catastrophe naturelle: soumission et culpabilité pour les cause de la catastrophe et initiative pour la prévention.
- La représentation de la mort est qu'elle est tout à fait différente de la mort par une autre cause et que les rescapés doivent être plus religieux dans leur nouvelle vie.
- La télévision est la source d'informations sur la catastrophe naturelle la plus utilisée par les étudiants suivie par les sources religieuses.
- Les représentations sociales des étudiants de la catastrophe naturelle ne diffèrent pas quelque soit le sexe, l'âge, la spécialité ou l'année universitaire.

Mots clés: représentation sociale, catastrophe naturelle, psychotrauma, étudiant, Université de Annaba.

Summary :

Our reaction encountering natural disaster could have positive as well as negative effects on results of such a situation.

Thus, in order to prevent the second kind of reactions we have to study principal factors and mechanisms which constitute a real referent for many human behaviors.

Indeed, social representation is one of these factors that guide and feed number of our thoughts and actions at the same time. It is in this way that we have conducted an enquiry around social representations of natural disaster among Algerian students of Annaba University. We tried to know, its causes, its main damages, the possibility to control or to decrease the consequences, the relation ship with the disaster and we tried also to light influence of religious and scientific components on social representations via a questioners.

We carried out a survey by questionnaire into a sample of 181 student of the University of Annaba of the two sexes distributed out of 4 specialties.

After the collection of the formations we carried out a quantitative analysis using a software of statistics EPI Info V(6) as well as a qualitative analysis according to the statistical results and theoretical formations.

And so, the principal results:

- That natural disaster is equal to an earthquake and its consequences are considered, more important among humans.
- A certain ambivalence appeared concerning the relationship with the notion of disaster: subsiding for disaster causes, and on the other side initial a prevention.
- Then, signification given to death in disaster is different compared to death for another causes and survivors have to become more religious for their new life.
- Television is the main information resource used by students and then come religious resources.
- The social representations of the students of the natural disaster do not differ some is the sex, the age, the specialty or the academic year.

Key words: Social representations, natural disaster, psychodrama, students.